20 باب للخوف

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

مدير النشر
مهند يحى

الكتاب : ٢٠ باب للخوف
تأليف : أسماء شكر
تصنيف الكتاب : مجموعةٌ قصصيَّةٌ
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٥٧٠٧ / ٢٠١٩
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 58 - 8

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

20 باب للخوف

مجموعةٌ قصصيَّةٌ

أسماء شُكر

مُقدِّمةٌ

في حياة كل منا أبواب، حين نقوم بفتحها تصدر صريرًا قد يكون واضحًا صريحًا تسمعه بوضوح و تراه، نعم تراه كأنه الشمس ذاتها

وهناك أبوابًا تصدر صريرًا منخفضًا، تسمعه ليلاً

حين ينام الأطفال

ليثرثر عن ما خلفها العجائز

ومن حُفرت على وجوههم السنوات تجاعيد من الخبرة والأهوال.

وهناك أبواب خجولة نرى خلفها الأحبة ،فتيات في عمر الزهور،

وشباب خط الزغب على وجوههم علامات الرجولة الأولى

إنه عمر المراهقة النديّ

أحلام ..فراشات ...زهور ...حب، وأبواب أخيرة هي أبوابنا العشرين.

تسألني ما هي تلك الأبواب ؟!

أقول لك إنها أبواب أرواح حائرة، أبواب فتحت بأيدٍ مرتعشة، واجفة، وقلقة.

إليكم مفاتيح أبوابنا...إن أردتم فافتحوها، ولكن فضلاً لا تنسوا أن الحياة لن تعد أبدًا كما كانت قبل فتحها ...

تذكروا تحذيري لكم.

فكل من حَفر وراء الحقيقة...، لم يدرك أن تلك الحفرة تناسبه كقبر له!

***

فلتخفضوا الإضاءات وليغفوا أطفالكم أولاً

فإن أبوابي قد تكون مرعبة

الباب الأول

عن الفراعنة نحكي

كنت أقرأ في كتاب عن الحضارة الفرعونية بحكم عملي الجديد في ترميم الآثار

كنت قد تخرَّجت في كلية الاقتصاد ،أعلم ما تقولون وما دخلها بترميم الآثار

أقول لكم ، كل شيء جاء بالصدفة البحتة، فعندما علمت صديقتي التي عرفتها هي الأخرى عن طريق الصدفة بأنني أهوى التلوين والرسم قالت لي أنها ستقدم لي فرصة رائعة وهي العمل في ترميم الآثار، قلت لها:- وما درايتي أنا بالفراعنة، فقالت لي:

ـ إن العمل يعتمد على الحاسة الفنية أكثر من الدراسة و الدراسة ستأتي بالممارسة.

وهكذا وجدتني في هذا المكان الغريب ...

أعلم أنه ليس علينا الثقة بالأشخاص الذين عرفناهم عن طريق الصدفة،خاصة وإن كان اسمهم «نفرتاري» ، كاسم صديقتي تلك،

هذا ما قالته لي رشا صديقتي الوحيدة منذ الطفولة ،أقنعتني كثيرًا ألا أذهب مع «نفرتاري» تلك إلى هذا المكان وألّا أثق كثيرًا بها وأن أقوم بنزع ذلك الخاتم الضخم البشع الذي يزين يدي ،

ضحكت كثيرًا وقلت لها:- أن «نفرتاري» قد أهدته لي. فقامت رشا بضربي بالوسادة وغادرت ، كم أحبها ،أعلم أنها تخاف

عليَّ، ولكنه خوف مبالغ فيه وبه بعض من غيرة الأصدقاء، هي تغار عليَّ حتى لا تأخذ «نفرتاري» مكانة صديقتي المقرَّبة منها .

عرَّفتني «نفرتاري» إلى المدير وبعدها لم أراها مرة أخرى،

وعندما حاولت الاتصال بها قام جهاز الرد الآلي بالرد أن: عليَّ التأكد من الرقم الصحيح.

لم أشغل بالي كثيرًا، فنفرتاري لم تكن صديقتي منذ البداية وها هو العمل حصلت عليه.

أمَّا «نفرتاري» فمن المؤكد أنها ستعاود الاتصال بي في وقت لاحق

ولكن هذا الخاتم اللعين التي أهدتني إيّاه لا أستطيع نزعه من أصبعي،على الرغم أنني أدخلته بكل سهولة، هل يُعقل أن أكون قد أصابني الامتلاء فجأة.

عدّلت من وضع منظاري الطبي على أنفي وعدت أقرأ في الكتاب.

الأسرات ١٥ - ١٦ - ١٧ (١٧١٠ - ١٥٦٠ ق.م) وهى الفترة التى وقعت فيها مصر تحت الاحتلال من (الهكسوس)، وقد احتل الهكسوس مصر في نهاية حكم ملوك الأسرة الرابعة عشرة، والهكسوس قوم أتوا من الشرق وشيَّدوا عاصمتهم في شرق الدلتا في (أواريس) ولم يكن جنوب البلاد تحت سيطرتهم، وكان أمراء الجنوب يرسلون لهم الجزية، ومكث الهكسوس في شمال مصر

حوالي قرن ونصف من الزمان (١٥٠ عام) وقال بعض المؤرّخون أنهم استمروا يحكمون (٤٠٠ عام) إلى أن تم طردهم على أيدي (حكام الجنوب).

حافلة هي حياتهم، مليئة بالأحداث والانتصارات والإنجازات، يصعب عليَّ تصور أنني حفيدتهم، فقد كان الخمول والكسل يدب في أوصالي.

أشعر بالخدر يملأ جفوني وأنهما قد أصبحتا يزنا طنا، لكنني رغم كل شيء أقاوم ،فالكتاب شيق، وأحب أن أكون على قدر من المعلومات عن أجدادي الفراعنة أمام مديري غدًا، فكل من بالعمل على علم تام بحياتهم حتى ليشعروني أنهم فراعنه في ثياب مدنية، لكم أشعر بالجهل الشديد واليأس والإحباط بينهم...

فعندما يصيح مديري بصوت جهوري لميس احضري لي صورة (عا اوسر رع) وأحضر له صورة (نب خبش رع)، يشعرني كمن أصابه تيار كهربي متعدد السرعات ويقول وكأنه يحتضر:-

- ألا تميزي بين (عا اوسر رع)و(نب خبش رع).

وأجد الزملاء مذهولين فاغرين فمهم في صيحة مكتومة وكأنهم قد ثُبِتوا في كادر كاميرا لا يتحركون، فأحاول أن أنهي الصورة الجماعية المخيفه تلك،

فأحاول أن أخفف حدة توتر الجو وأقول لمديري بابتسامة عريضة:

- أقدم لكي أسفي سيدي، لكن الأسرة السادسة عشر هي الأسرة الوحيدة التـــــ.....

أقطع كلامي لأنني أرى الشرر يتطاير من عيني مديري ليس إلا، أكاد أجزم أن لو كان بيده منجلاً أو سكينا لقتلني .

- الأسرة الـ.. مـــــــــــاذا ؟!

أرد وقد كاد صوتي أن يختفي من الرعب : الســـ...الســا... السادسة عشر سيدي.

هبّ المدير من على مكتبه ونظر حوله كمن يبحث عن شيء بعصبية

قلت له وأنا اتراجع إلى الخلف:

- حسنا سأذهب لأحضر لك سكينا.

قال لي بصوته الجهوري:- ماذا تقولي

قلت له :- احم ...لا شيء.

كان يتقدم نحوي، فارع القامة إلى درجة تشعرني أنه لو لم يلاحظني وهو يمشي سيسحقني كنملة تعيسة الحظ في طريقه ،أسمر البشرة قوي البنيان، هتف :

- أحمـــــــــــس تعال إلىّ هنا.

جاء أحمس مهرولا و كان مازال فارغ فاه من أثر الكادر الجماعي الذي اتخذوه، أقصد من أثر دهشتهم من إجابتي.

قال له مديري :

- قل للآنسة لميس (عا اوسر رع) و (نب خبش رع) من أي أسرة فرعونية.

قال أحمس كمن سُئِل في امتحان شفوي وأمامه دقيقة للإجابة وإلا انفجرت به اللجنة

- ملوك الأسرة الخامسة عشر »

(عا اوسر رع)

و(نب خبش رع)و(عاقنن رع)و(سمكن) و(عانت هر) و(خيان)و(عاقن)و(شارك)و(أبى بي). و(ساليتس) و(شيشى) و(خيان)،و(أبو فيس) ،و(خمودى)

هنا تهللت أسارير السيد بيبرس المدير ورأيت الزملاء قد التقطوا أنفاسهم

حتى شعرت أن لو أحد ملوك الفراعنة كان حيًّا لكان بكى من روعة المشهد، وأنا فاغرة فمي لا أفقه شيئًا مما قال هذا الأحمس.

أما قاله مديري لي بعد ذلك فلك أن تتخيل عندما يغضب شخصًا يدعي بيبرس ويعمل في ترميم الآثار ويشبه الفراعنة فما سيفعله ببائسة مثلي.

حسناً لا بأس ، كان ظريفا جداً حين قال:

- لا بأس يا لميس أنتي جديدة على كل حال. «ألم أقل لكم طيب» كما أنك لم تدرسي التاريخ الفرعوني كما علمت ولست خريجة إحدى كليات التاريخ، وبالممارسة ستصبحين مثلنا ولكن عليك بالقراءة، قراءة تاريخنا الفرعوني .

«ألم أقل لكم إذا ذكرت الطيبة ذكر السيد بيبرس».

ثم بصوت جهوري قال وكأنما يهتف في جموع من الناس :

- لذا سأخصم منك ثلاثة أيام على هذا الخطأ وإن تكرر سأفصلك عن العمل .

«ألم أقل لكم أن هذا الرجل هو الشر ذاته».

لذا قررت أن أقرأ، ولكن أنتم تعلمون أن الكهرباء تقطع كثيرًا هذه الايام، لذا أغلقت الكتاب بيأس وانتظرت برهة حتى اعتادت عيناي الظلام ثم قمت أتحسس طريقي للحصول على شمعة، هناك الكثير منهم على كل حال .

واصلت المشي إلى المطبخ، أنا أعرف طريقي جيدًا على كل حال حتى في الظلام أنه بيتي الذي عشت فيـــ..... ترااااااااااخ.....آآآآه

لا بأس لقد وقعت ، كما ترون وقعة بسيطة لم تتسبب في شيء إلا كسر العظام وارتجاج في المخ والتواء في المفاصل .

لا بأس لا بأس، قمت وواصلت السير نحو المطبخ، إن الظلام قد يخيفك في أي مكان إلا بيتك لأنك ببساطة تعرف تفاصيل بيتك الذي عشت فيـــــ.....

- آآآآآه.

امم لا بأس لقد قمت، واصلت طريقي نحو المطبخ،لديّ شعور خفي بأن المطبخ قد أعلن انسحابه من المنزل وذهب إلى منزل الجيران .

وهكذا أواصل السير ،ها هو المطبخ ،لكن ...ماهذا ؟! ...أشعر بمن يتحرك في الظلام ...هناك شيء في المطبخ ...أعلم أن المكان مظلم لكنني أستطيع أن أحدد ظلام المكان من تلك البقعة الهائلة المظلمة ...

هناك من يقف أمامي كائن فارع الطول غارق في الظلام ،

لكنني تبينت تلك العينان، نعم عينان متوهجتان في ظلمة المكان و...

بالطبع أطلقت صيحة جديرة بوضعها في موسوعة جينيس.

صحوت من نومي غارقة في العرق البارد، الحجرة غارقة في الظلام، الكتاب مُلقى على الفراش جواري، من الواضح أنني عندما قطعت الكهرباء استغرقت في النوم،وعشت ذلك الكابوس اللعين.

استيقظت ومازالت الكهرباء مقطوعة ...

أشعر بالخوف من هذا الكابوس، خاصة أنني وحدي بالمنزل ،فأمي ستقضي الليلة عند خالتي لأنها مريضة وستأتي غداً .

لا يوجد بالمنزل سواي، سأنهض لأبحث عن شمـ....الكهربـاء عادت .

كدت أموت خوفا، قمت من على الفراش ..آآآه ...قدمي تؤلمني كأنني وقعت عليها.

توجهت إلى غرفة المعيشة تمددت على الأريكة وأخذت جهاز التحكم عن بعد وفتحت التلفاز ...ها هو إعلان عن شركة تحرض عملاء الشركات الأخرى أن يتركوها وينضموا لها ،، المزيد من الإعلانات فتاة تستفز شاب ليدفع قيمة مشتروات لأناس لا يعرفها يقفون معه في الصف، السؤال هنا لماذا لا تقوم هي بالدفع بدلاً من هذا الشاب الوسيم، أقصد المسكين .

إعلان عن آيس كريم قاتل كل من يأكله يقوم بأكل البشر،

إعلان عن إعلان فشل بسبب سقوط الديكور،

إعلان عن فتاة لا تستطيع أن تطهو ملوخية لزوجها لأنها مازالت صغيرة فتنصحها جدتها التي كانت تطبخ في إناء كبير جدًا لديناصور على ما يبدو بأن عليها أن تطهو بالسمنة تلك عندها ستصبح كبيرة ،

إعلان آخر عن التكييف الذي لن يقولوا شيئاً سوى أنه رائع،

أغلقت التلفاز وأنا أشعر بصداع غريب ومازلت أشعر بالقلق الذي لا أدري مصدره، رنَّ هاتفي الخلوي فذهبت لأحضره، رقم غريب :

-ألو

- لميس أنا رشا

إنها رشا صديقتي

إن بطارية الهاتف على وشك أن تنفذ

- رشا كيف حالك؟

- لميس ...تعالي فورًا

- آتي فورًا !، أين؟ أتعلمين كم الساعة الآن؟!

- فقط تعالي ...وسأخبرك بكل شيء...أرجوكي

أصوتها غريب؟، أم أنها موجات الأثير تغير الصوت؟!، نفضت الفكرة من رأسي وقلت لها:

- حسنًا أنا آتية إليك.

- قالت لي:

- حسنًا ولكني لست بالمنزل، أكتبي هذا العنوان .

البطارية تعلن عن غضبها وتنذر بغلق الاتصال فهتفت:

-عنوان ماذا ...ماذا تفعلين خارج منزلك الآن؟

- لميس ...لا وقت لأضيعه ...فقط تعالي

- حسنًا ..أين؟

- كازينو حور محب

- أين هذا الكازينو؟

- في منطقة الأهرامات عزيزتي، اسألي عليه وسوف تجدينه.

وهنا أعلنت البطارية غضبها التام وأعلنت إغلاق الاتصال والهاتف، أمَّا أنا فكنت فاغرة فمي في بلاهة.

أهرامات!، وفي هذا الوقت! ذهبت لأحضر الشاحن سأعاود الاتصال بها وأخبرها أني لا أستطيع.

فأمي لو كانت بالمنزل وعلمت أنني خارج المنزل في هذا الوقت بل وسأذهب إلى الأهرامات لصنعت مني أبو الهول جديدًا، لكنها الكهرباء كما تعلمون، لقد قطعت مرة أخرى قبل أن يلمس شاحن الهاتف القابس .

ذهبت وتحسست طريقي إلى هاتف المنزل، سأتصل بها، ولكن هي ليست بالمنزل! بل قامت بالاتصال بي من رقم غريب ،إذن من الممكن أن أسبب لها المشكلات إن اتصلت في المنزل في هذا الوقت خاصة وأنا لا أعلم ما بها.

وهكذا تحسست طريقي إلى خزانة الثياب وسط الظلام لأرتدي ما لا أدري لونه

نزلت الدرج وأنا أتحسس طريقي، لكن لا بأس أنتم تعلمون هذه الأمور فأنا أحفظ درج منزلنا عن ظهر قلب ...حتى في الظلام فذلك هو منزلنا الذي عشت فيـــــــ.....

آآآآآه ....تباااا

توجهت إلى مرآب السيارات ثم إلى سيارتي ...أدرت المحرك وانطـــــلقت إلى الأهرامات.

عند اقترابي من منطقة الأهرامات أخذت أنظر حولي إلى كازينو بهذا الاسم الذي ذكرته رشا، كان الطريق خاليًا من المارة تمامًا في ذلك الوقت.

ها هـو ..... لقد وجدته

إنه في منطقة نائية ويبعد عن الأهرامات قليلاً، وحده فقط يضيء المكان، لكنها إضاءة خافتة تصيب بالاكتئاب، لافتة صغيرة كتب عليها كازينو حور محب، قمت بإيقاف محرك السيارة، ثم ترجلت منها، ونزلت إلى ذلك الحور محب، كنت أعدو الطريق لأصل إليه، ولكن ما حدث كان غريبًا .

كنت أتقدم وأنا أرى اللافتة التي كتب عليها حور محب تنطفيء تدريجيًّا إلى أن انطفأت تمامًا وعمَّ الظلام المكان.

أصبت بالذعر ...

رشـا ....رشا ....لا رد ...لا شيء ...لا كازينو ...لا حورمحب

سمعت همهمات ضحكات جهورية مخيفة من لا مكان، قلبي كاد يقفز من صدري، أنا لا أرى شيئًا وهكذا التفت إلى السيارة وأسرعت أعدو إليها لا أنوي إلا على الفرار من ذلك المكان المقفر.

ها قد اقتربت من السيارة ولكـــن ...لكـــن ....لكن من هذا الذي يجلس ينتظرني خلف المقود ؟!، إن هناك من يجلس في الظلام بسيارتي، أنا متأكدة من أنني أغلقتها بإحكام، إذن هو ليس شخص، هو شئ غير مادي، شيء خرق قوانين الطبيعة، ودخل سيارتي، ويجلس في الظلام، لا ينتظر سواي.

أخذت أرجع للخلف برعب، لا أدري أين أذهب، فقط سأعدو إلى أن ينقذني أي مار بالطريق، وعندما التفتت خلفي وجدتهم قادمون، إنهم قوم فارعي الطول وضخام البنية يتشحون جميعهم بالسواد، اللعنة لمَ يتقدمون جميعهم ببطء ؟ إن هذا يثير في قلبي الفزع

أستطعت برغم الظلمة أن أتبين من يتقدمهم ...إنه السيد بيبرس، نعم هو ،مديري في العمل.!

التفتت إلى سيارتي لأجد من في السيارة مازال ينتظر، نظرت ورائي ،مازالوا يتقدمون، لقد صاروا على مقربة مني .

نظرت أمامي لأجد من ينتظرني قد أدار محرك سيارتي، نظرت ورائي لأجدهم قد صارت خطوات فقط ويبلغوني.

نظرت أمامي وهرعت نحو سيارتي، وعقلي يخاطبني:- شيء خوارقي ينتظرك بسيارتك ليلا لهو خير من عشر أشياء يأتون من خلفك،خاصة لو كان من بينهم رئيسك في العمل، أليس كذلك ؟!

فتح لي الشيء الباب المجاور له فألقيت نفسي في السيارة بجواره وانطلق، نظرت ورائي لأجدهم يصيحون غاضبين... أأنا واهمة أم هي سرعة السيارة أم أني أراهم لا يمشون على أقدام؟! بل كأن أقدامهم لا تصل للأرض، بل هم يمشون وكأنهم يتزلجون، ولكن على أية حال السيارة كانت أسرع وسرعان ما ابتعدنا عن هؤلاء القوم الغاضبين.

ابتـــ...ابتعدتـــ....ابتعدنـــا....

نظرت مرتجفة إلى الشيء بجواري

محـــــــــب ؟؟؟؟؟؟

بصوته الغريب الشبيه بصنبور يغلق أو مزلاج يفتح أيهما أقرب إلى تفكيرك ...تكلم

- نعم لميس....أنا محب

- ما ...ما الذي .....ما الذي تفعله ...ف ...في سيارتـــ.....؟!

قاطعني محب قائلاً :

- جئت أحميكي أيتها الحمقاء.

محب هو زميل لي بالعمل وأنت تعرف هذه الأشياء كل فتاة تعلم متى يكون هناك من يغرم بها، كنت أعلم، لكني لم أرد أن أبين

له أنني ألاحظ، بالطبع لن أحب شخص صوته مثل غلق الصنبور أو فتح المزلاج، لن أحب شخص هوايته الوحيدة في وقت الراحة بالعمل أن يحل الكلمات المتقاطعة باللغة الفرعونية، دعك من أنه يشبه أي تمثال أو صورة تجدها على جدران المعابد فقط غطتها طبقة بسيطة من المدنية، لهذا لم ولن ألاحظ حبه .

ولكن بالطبع لي الحق أن ألاحظ أن هذا المحب موجوداً بسيارتي ليلاً، دعك من كيف دخلها، ومن أن رئيسي كان في موكب غاضب هو وقوم غاضبون يريدون النيل مني ومتشحين بالسواد في منطقه الأهرامات ليلاً.

قال لي محب :

- لن أحكي شيئاً، عليكي أن تنزعي هذا الخاتم من أصبعك الخاتم التي أهدته لك نفرتاري....فهو يحمل اللعنة.

- لعنة ماذا؟

قال بصوتٍ غريبٍ :

- لعنتنا ...لعنة الفراعـــــــنة.

- أها ...أنت تتكلم إذن عن لعـــ....ماذا قلت لعنتكم؟؟؟ أنتم ؟! من أنتم ؟

قال لي وكأنه لم يسمعني :

- جئت لأنقذك، انزعي الخاتم، تذهب اللعنة، وإلا لن يتركوك، لقد كادوا يفتكوا بك اليوم.

- ولكني لا أستطيع أنزعه. وماذا عن العمل؟

أوقف مقود السيارة ،كان الصباح قد أوشك فأشعة الضوء الأولى قد بدأت في البزوغ

قال لي بسخرية وهو يمسك يدي لينتزع منها الخاتم:

- العمل! لا يوجد عمل ،نحن نتنقل في أماكن عدة ونخفي آثارنا أنتي رأيتي الكازينو، ورأيتِ كيف أختفي أمام عينيك.

ثم بكل سهولة نزع الخاتم من أصبعي ثم ...اختفـــــــى.

آآآآآآآآآآه .....صحوت من نومي مفزوعة لأجد نور الصباح يملأ الغرفة وأمي تدخل مسرعة تبسمل وتقول لي:

-ماذا بك؟

- قلت لها كابووووس .... كابووووس يا أماه، متي جئتي من عند خالتي؟

قالت لي:

- جئت للتو، ثم تابعت :ـألن تذهبي إلى عملك.

قلت لها برعب :

- عمل!، لالالالالا، لن أذهب إلى العمل.

قالت لي:

- حسنًا حسنًا. أهدئي وأخبريني بعد أن تستعيذي بالله ماذا رأيتِ.

قصصت عليها حلمي وأخبرتها كيف أن رشا اتصلت بي، وكيف ذهبتُ لها عند كازينو حور محب وكيف أن رئيسي في العمل هو فرعون يريد الانتقام من أثر اللعنة والخاتم ونظرت في يدي لأجد أن الخاتم ليس بها فرحت فرحة شديدة أيكون انزلق أثناء نومي ؟! وكيف أن خطيبي محب قد أنقذني من براثنهم ....

قالت لي وهي تبحث عن شيء بجواري لتضربني به:

- خطيبك من ؟؟؟؟ أتمت خطبتك من ورائي،

قلت محاولة تهدأتها:

- أقصد زميلي في العمل ذلك الفتى يا أماه الذي يحبني.

هنا قد بدأت بالفعل في عملية البحث عن شيء يصلح لقتلي به، قمت مسرعة هربًا من الغرفة وأنا سعيدة أن ما حدث لي كان مجرد كابوس، ولكنني نويت على شيء، لن أذهب إلى هذا العمل مرة أخرى، أنا لا أصلح لذلك العمل، أنا لا أدري شيئًا عن الفراعنة، ولن أعمل في شيء ليس في مجال تخصصي .

هاتفت رشا واتفقنا على الخروج سويًّا، أمَّا أمي فقد دخلت المطبخ لتقوم بالطهو.

دخلت أم رضا الخادمة إلى غرفة لميس لترتيبها، ولكن ما هذا الشيء الذي يلمع الملقى بجوار الفراش.

انخفضت أم رضا لتجده خاتمًا ضخمًا قبيح الشكل، تعجبت من فتيات هذه الأيام الذي يعجبهنَّ مثل تلك الأذواق، وضعته في أصبعها لتراه ثم همت بانتزاعه.

ولكن ....ولكنـــــه ....لكنه لا يريد أن يخرج من أصبعها، خافت أم رضا من عودة لميس ورؤيتها الخاتم في أصبعها، قامت بمحاولات عده لانتزاعه، لكنها لا تستطيع انتزاعه، قامت بترتيب الشقة سريعًا، ثم استأذنت السيدة ثريا والدة لميس وانصرفت.

كان ما يشغلها في رحلة العودة إلى قريتها الصغيرة المجاورة للقاهرة أن عليها انتزاع هذا الخاتم بأي طريقة والعودة غدًا إلى منزل مدام ثريا ووضعه في غرفة لميس دون أن يشعر أحد....

نزلتْ من الحافلة ووصلت إلى قريتها، كان الظلام قد حلَّ على القرية، ولم يعد هناك مارة في الأزقة.

هنا، عندما رأتهم يتقدمون نحوها، قوم فارعي الطول، ضِخام البنية، متشحين بالسواد، يتقدمون نحوها ببطء، لكن بثقة.

***

الباب الثاني

عن مصاصي الدماء نحكي

«أنتم من ستتسببون يومًا بإصابتي بالقلب، وستتسببون بغلق هذه المجلة»

كان هذا أستاذ صبحي رئيس التحرير طبعًا، وكانت تلك هي إحدى جمله الشهيرة التي ستخلدها صفحات كتب التاريخ من بعده ...

فسيأتي سؤال التاريخ في المستقبل كالآتي: اذكر أشهر خمس جمل لأستاذ صبحي رئيس تحرير مجلة الفنون والسينما؟

وسيكون إجابة الطالب المثالي كما يلي:

«الصحافة بريئة منكم».

«أنتم مجموعة من المرتزقه الفاشلين جئتم لتحطموا الصحافة والمجلة»

«أنتم من ستتسببون يوما بإصابتي بالقلب ..وستتسببون بغلق هذه المجلة».

«سأطردكم جميعًا وسآتي بطاقم صحفي جديد»

«تبًا لكم»

أفقت من شرودي في ورقة امتحان الطالب المثالي الذي أتخيله على صوت أستاذ صبحي وهو يقول:

- الآنسة سالي طلبت منها أن تلتقي الفنانة هبة وحيد لننفرد بنشر خبر طلاقها من رجل الأعمال كريم توفيق وأجدها عائدة لي بموضوع عن خبر نجاح فيلمها الأخير، ولا أثر لخبر الطلاق مما جعل مجلات مصر كلها تتكلم عن الخبر إلا مجلتنا وكأننا آخر من نعلم ،لقد طفح الكيل منكم جميعًا.

أطرقت برأسي إلى الأرض، ليس لديَّ أي نية للدخول معه في جدل عقيم إذا تحدث عن كفاءتنا فسنتحدث عن أجرنا الذي لا يكفي المواصلات التي نحضر بها إلى المجلة لمدة أسبوع، نحن ندفع من جيوبنا وهو يعلم ذلك ..

وهو كذلك لن يطردنا ليس لأنه يعلم بضعف الأجر لكن أستاذ صبحي يحبنا كأبنائه وليس كصحفيين نعمل عنده.

نحن نعلم أنه طيب القلب، لذا هو لن يطردنا ونحن لا نفكر بالعمل في مجلة أخرى.

وهكذا وكالعادة هدأ بعد دقائق، ثم أخذ يوزع مهام الأسبوع علينا.

كانت مهمتي صعبة بعض الشئ هذه المرة وكأنه قرَّر أن يعاقبني على خطأ المرة السابقة، رجل الأعمال كريم توفيق طليق الفنانة هبة وحيد وصلتني أخبار أنه سيتزوج بعد يومين والغريب أنه سيتزوج من فتاة عادية غير معروفة، من قرية صغيرة بصعيد مصر وسيقيم

الفرح بتلك القرية، هذه معلومة سرية لم تصل الصحافة، سيكون لنا السبق الصحفي.

تمتمت في نفسي مرة هبة وحيد ومرة طليقها، أهي لعنة تطاردني، أنا لا أحب السفر، ولكني لم أستطع الرفض.

قلت له:

- حسنا سيأتيك موضوعًا كاملاً بالصور، أيمكن أن يأتي رامي معي.، ورامي لمن لا يعرفه هو مصور المجلة.

قال لي أستاذ صبحي محتدًا :

-لا،رامي سيذهب مع صلاح لتغطية موضوع آخر في الإسكندرية.

- حسنا سأذهب وحدي وسأقوم بدور الصحفية والمصورة في آنٍ واحدٍ.

كنت أهم بالخروج حين سألته :

-أي قرية هي يا أستاذ صبحي

رد قائلاً بلا مبالاة وهو يحدث صلاح عن مهمته قرية (..)

تبًا لك أيها الرجل، لِمَ يتزوج رجل أعمال مشهور كان متزوجًا من فنانة

مشهورة من فتاة بقرية نائية في صعيد مصر، ولماذا أذهب أنا إلى هذه القرية، حملت حقيبتي وخرجت.

***

أخبرت أمي بسفري فلعنت مهنة الصحافة التي لا تجد لها نفعًا أبدًا، ولعنتها أكثر عندما طلبت منها نقودًا للسفر.

قالت لي بسخرية:

- هل مجلتكم قائمة على المساعدات الخيرية.

قلت لها ضاحكة

-بل بمساعدات الأهالي، ثم تناولت ثمرة فاكهة من على المنضدة ودخلت حجرتي وارتميت على فراشي حرفيا لأغوص في ثبات عميق .

***

جاء يوم السفر، كنت أتمنى أن أنتهي من هذه المهمة ليس كسلا مني ولكن، لكن ينتابني شعور بـــ ..، لا أعرف كيف أصفه، لكن يصيبني شعور بعدم الإرتياح لا أعلم لِمَ.

خرجت من غرفتي فوجدت أمي ليست بالمنزل، لكنها على كل حال لم تنس أن تترك لي نقودًا للسفر، قمت بشرب كوب من اللبن ونصف شطيرة، ثم بدّلت ملابسي مسرعة، وحملت حقيبتي كاميرتي الصغيرة، تأكدت من شحن الهاتف الخلوي ثم نزلت.

وصلت إلى القرية الساعة السادسة مساءً وجسدي يهتف بي صارخا أنه عاجز عن التحرك، لقد صارت قدماي مثل عودان من الاسباجيتي، وكذلك ظهري يؤلمني بشدة، وقد أصبح مظهري يُرثى له لقد صرت أُشبه أنثى القنفد.

مرهقة جدًا المواصلات إلى تلك القرية فالقطار بعيد جدًا عنها وتأبى أي سيارة أجرة أن تسافر إليها، فكلما ذكرت اسمها فكأنما ذكرت لعنة، فيلوحون لي بأيديهم ويمشون مسرعين.

رجل عجوز هو من أوصلني بعربة أجرة متعددة الركاب متهالكة، لكن لم يكن هناك ركاب سواي.

قلت له :

- لماذا لا يريد أحد أن يصلني لتلك القرية لقد وقفت أكثر من نصف الساعة أنتظر أن يقبل أحد أن يوصلني لتلك القرية لكني لم أجد؟ كيف يستطيع أهل تلك القرية التحرك بدون وسائل مواصلات تصل لهم.

لم يجب السائق العجوز، لكنه واصل السير وكأنه لم يسمعني، ثم بعد برهة تكلم، تكلم وياليته لم يفعل.

وصلت إلى القرية، ماهذا ! أهي خالية من أي حياة ؟!، فلا أرى طفلاً يلعب أو سيدة تمشي أو شاب يتسكع في الطرقات .. كذلك

المتاجر جميعها مغلقة، أيغلقون المحال من الساعة السادسة مساءً غريب هذا، نقدت السائق أمواله، ثم ترجلت من العربة ومشيت بأرجل مطاطية، لكن هذه المرة من الخوف .

كنت أتمنى العودة إلى محطة القطار مرة أخرى، لكن بعد أن قطعت كل هذا الطريق لن يذهب تعبي هباءً، كما أنني لا أستطيع النظر إلى وجه أستاذ صبحي إذا لم أسلمه اللقاء كاملاً بالصور.

لقد قال لي السائق العجوز :

-لا أحد يريد أن يأتي إلى قريه الفانين، تلك القرية قد قطعت كل القرى المجاوره الصلة معها، كذلك ترفض أي وسيلة مواصلات الوصول إليها، ويرفضون التعامل مع أهلها ويخشونهم خشية الموت ذاته . سألته عن الأسباب فقال لي:

-الأسباب يا بنيتي أنهم لم يعودوا بشرا، لقد تحولوا، أصبح ليلهم نهارهم ونهارهم نومهم ...

قلت له وأنا أشعر أن خرف الكبر قد أصابه:

- ولماذا صاروا كذلك يا سيدي؟

قال لي:

- منذ أن تحولوا يا بنيتي.

قلت له محاولة تفسير ما يقول :

-ولم وافقت أنت على توصيلي إلى المتحولين؟

قال لي:

- لأني منهم، من أهل القرية لكني لم يصيبني لعنتهم.

ثم قال منهياً كلامه نصيحة :

-إنهم ودودين، ودودين جدًا مع الغرباء، لكن أبدًا لا تثقي بهم، لا تلبي دعوتهم.

قلت له ضاحكة :

-أشاهدت فيلمًا لمصاصي الدماء، سيدي إن هذا الكلام أقرب لهم.

صمت ولم يجيبني، كنت أعرف أن الرجل طاعن في العمر وبالتأكيد يهذي ... لكن شيء ما داخلي كان يؤكد لي أن هناك شيئ ما في كلامه صادق ...صادق جدًا.

لا يوجد أحد في الطرقات لأسأله على العنوان، هنا وجدت ذلك البيت الحجري القديم وقد زينته بعض اللمبات الملوّنة، أهذا هو تعبيرهم عن وجود فرح.

كنت أشك أن يكون رجل الأعمال كريم توفيق قد تزوَّج فتاة تسكن ذلك البيت، ليكن سأطرق الباب وأسأل، طرقت الباب مرتين فتح لي شابًا على قدر كبير من الوسامة، قال لي:

- نعم تلعثمت وأنا أقول له كري..م كريم توفيق هنا ؟

قال لي وهو ينظر إليَّ بريبة:

- من أنتِ ؟

قلت له:

- أنا سالي سليم صحفية بجريدة (...) جئت أغطي خبر زواجه.

تنحى جانبًا ليدخلني فدخلت ببطء، كنت أسمع موسيقى غريبة في الأعلى. أتلك موسيقى تناسب حفل زواج ؟؟!!

قال لي:

- أنا شقيق كريم اتبعيني .

تبعته وأنا أقول له:

- لحظه من فضلك.

توقف ثم نظر لي، فابتعلت لعابي لأرطب حلقي الجاف وقلت:

- لماذا ..أقصد لماذا يتزوج أخاك في مثل تلك القرية؟

أطرق برأسه لحظه ثم قال لي :

-لأن ...اللعنة أصابته ...شقيقي قد تحوَّل إلى مصاص دماء.

نظرت له بحنق وأنا أقول:

- من فضلك لقد قطعت شوطًا طويلاً إلى تلك القرية لأغطي ذلك الموضوع الصحفي وأنا متعبة للغاية، أريد أن أغطيه وأذهب، ولكن منذ أن جئت لا أسمع سوى ترهات من سائق عجوز، ومنك وبلد نائية لا يوجد بها فرد يتسكع في الطرقات، ولا عجوز شمطاء تجلس أمام منزلها مع جارتها، ولا متجراً واحدًا مفتوحًا لأشتري بعض الماء أو الطعام.

قلت ذلك وانفجرت باكية، لا أعلم لم أبكي، لكن أعصابي تلِفت تمامًا، أن هؤلاء القوم يتحدثون عن مصاصي الدماء وكأنها حقيقة ما العته الذي أصاب تلك القرية، بل ماذا أفعل أنا مع هؤلاء المعاتيه.

هنا قال لي:

-لا يوجد متاجر لعدم حاجتهم إلى الطعام.

قبل أن أنفجر به سمعنا صوت أقدام تترجل من أعلى الدرج فوجدته يأخذني مسرعًا إلى حجرة جانبية مظلمة ويضع يده على فمي ويقول لي :

-لا تنبثي ببنت شفة، لو رأوكي هنا لن يرحموك فأنت وجبة عشاء ممتازة بالنسبة لهم.

سمعت صوت الأقدام تبتعد، فأبعد يده عن فمي وقال:

-اسمي أكرم توفيق شقيق كريم ومدير أعماله. أخي قد طلّق زوجته هبة لشكها في تصرفاته، فقد أصبح غير آدمي وقد لاحظت ذلك وقالت لي، لكنها لم تذكر الأحداث الحقيقية للصحافة . كانت قد رات عادات غريبة له فمنذ متى ينام الإنسان نهارًا ويستيقظ ليلاً؟، منذ متى يبدأ لونه في الشحوب، منذ متى يزهد الطعام ...بل يبتعد عنه تمامًا. وكانت لا تعلق لكنها رأته ...عندما انجرح أصبعها كيف جاء ملهوفا فظنت في باديء الأمر أنه فزع عليها، لكنه انحنى على أصبعها الذي ينزف وبدأ بلعق الدم ...

هنا عرفت أن كريم لن يصير كريم بعد اليوم، لقد تحوَّل إلى شيء لا تدري كنهه وعليها الانفصال، وبأسرع ما يكون وعندما واجهته بالحقيقة اعترف لي، قال لي: أن اللعنة أصابته منذ أن زار تلك القرية المشئومة وامتص أحدهم دماءً من عنقه فأصبح مثلهم يشتهي الدماء.، أخبرني إنه سيتزوج إحداهنَّ، وسيعيش هناك للأبد معهم، ليتغذواعلى دماء الحيوانات =، أو أول ضحية تطأ أقدامها قريتهم.

قلت بصوت مبحوح خافت:

- لكنك لا تخافهم لماذا؟

قال لي:

- أنحي منهم ويحميني .

قلت له:

- وأنا ؟

قال لي:

- أنحي نفسه إذا رآكِ ستتحولين إلى وليمته، عليكي أن تلوذي بالفرار.

قلت له وأنا أبكي:

- إلى أين سأذهب، إن القرية خالية وقريبًا جدًا سيحل الظلام التام ويبدأون في الخروج. عندها سيمتصون دمي، سأتحول مثلهم.

قال لي:

- ابق هنا ولا تتحركي، سأعود لكي.

بقيت ملتصقة في الحائط مرتجفة كورقة. سمعته يقول:

- كريم سأغادر أنا وسأتصل بك دائمًا

ثم جاء مسرعا وقال لي :

-هيا بنا

قلت له مرتجفة وأنا أتبعه:

-ماذا قال لك كريم ؟

قال لي:

- لم يقل شيئا فهو مشغول بعرسه.

فتح لي باب سيارته، ثم ركب سريعًا وانطلق، كنت أرتعش من الخوف، قلت له:

- لن أستطع أن أشعر أني بمأمن إلى أن نخرج من هذه القرية.

قال لي:

- بالطبع وأنا كذلك.

اختلست النظر له وهو يقود وسيم هو حقا، لكنه يمتلك بشرة بيضاء شاحبة حقا

نظر لي ثم عاود النظر أمامه وهو يبتسم، منذ متى المرء يمتلك أنيابًا بهذا الطول إلا إذا كان مصاص.....

قطع حبل تسلسل أفكار وهو يقول لي:

- ها نحن يا عزيزتي قد خرجنا من القرية، أنت لبيت دعوتي بالقدوم معي بكامل إرادتك الحرة، أرجوك لا تتهميني بالكذب،

أعلم ذلك فنحن نميل إلى الكذب حتى تلبين الدعوة وابتسم وفغر فاه وبرز ناباه ثم آخر ما رأيته هو القمر المكتمل فى السماء.

***

وفي نفس الوقت وفي مكان آخر من القرية كان هناك فرحًا كبيرًا يتوسطه رجل الأعمال كريم توفيق وعروسه نها النجار حفيدة عائلات النجار.

وقد أصرت أن يقيما الحفل في مسقط رأس عائلتها في تلك القرية على سبيل التجديد.

وقد قام لؤي شهدي مدير أعمال كريم بكل ترتيبات الفرح والتأمينات لبعد الصحافة عنه، كما أنه قد نبّه على أهل القرية بالمكوث في بيوتهم لمنع التجمهر أثناء الاحتفال وقد أعطاهم نقودًا نظير ذلك ونبه على سائقي سيارات الأجرة في موقفهم ألا يسمحوا لأي صحفي أو فرد أيًّا كان أن يوصلوه إلى القرية تلك الليلة لمنع الصحافة وأعطاهم نقودًا نظير ذلك.

وقد لاحظ أثناء مروره على منازل القرية ليعلمهم بأمر الفرح وعدم الخروج أن هناك شاب غير طبيعي بالقرية يجلس مع أحد أقاربه وهو عجوز طاعن في السن يعمل سائقا...الشاب شاحب إلى درجة كبيرة كأنه مصاب بإحدى الأمراض، وله نابان طويلان حقا، وعندما عرض عليه المال رفض، لكنه أكد له أنه لن يخرج وإن خرج سيخرج سريعًا إلى خارج القرية وعده بأن يكون الفرح بلا أي إزعاج وسرعان ما تناسى لؤي أمره وطرق باب بيت آخر وهكذا.

***

أمَّا في جريدة الفن والسينما فكان الأستاذ صبحي يطالع الجرائد والمجلات التي سبقته في نشر صور فرح كريم توفيق، ضرب بالمجلات والجرائد المكتب ثم هتف بعصبية :

-أين سالي؟

قالوا له:

- مختفية منذ فترة لا أحد يعلم عنها شيئا وهاتفها لا يرد.

فقال أستاذ صبحي وهو يرغي ويزبد:

«الصحافة بريئة منكم»

«أنتم مجموعة من المرتزقه الفاشلين جئتم لتحطموا الصحافة والمجلة»

«أنتم من ستتسببون يومًا بإصابتي بالقلب ..وستتسببون بغلق هذه المجلة».

«سأطردكم جميعًا وسآتي بطاقم صحفي جديد «

«تبًا لكم»

***

الباب الثالث

• عن الفراعنة نحكي (الجزء الثاني) وليس له أي علاقة بالجزء الأول سوى أننا مازلنا نتحدث عن الفراعنة .

تزوّجت حديثا وبعدت نسبيًا عن أصدقائي المقرَّبين نظرًا لضيق الوقت وتحمل المسؤلية ... إلخ.

فلما رن هاتفي المحمول وأنا أتنزه بالمركز التجاري مع زوجي ووجدتها صديقتي فرحت فقد اشتقت لها كثيرًا فرددت مسرعة:

-ألو ...بسمة كيف حالك اشتقت لك كثيرًا.

قالت (بفتور أم أنني أتخيل ذلك ..تبًا للهواجس):

-أنا بخير ..سأذهب للمركز التجاري ففكرت أن أراك هناك إن كنت لا تمانعين.

-حقا أنا بالفعل هناك

- إذا بعد ساعة سيكون اللقاء.

قال لي زوجي:

-مع من كنت تتحادثين؟

قلت له:

-إنها بسمة صديقتي ستأتي بعد ساعة.لقد اشتقت لها كثيرًا

وابتسمت له، وإن كان في أعماقي شعور غريب بفتور المكالمة رغم قصرها.

قابلت بسمة بعد انقضاء الساعة كانت قد وصلت، تركنا زوجي وحدنا لنأخذ راحتنا، الحق يُقال لقد صارت جميلة، بل صارت فاتنة، أنا لم أراها منذ يوم زفافي منذ حوالي الشهرين، لكنني أرى أنها صارت فاتنة.

هي كانت جميلة من قبل، ولكن الذي أراه أمامي الآن جمال فاتن إن كنتم تفهمون ما أقصد.

(نفسي تراودني أنه جمال مخيف، جمال شرير إن شئت الدقة، ولكن كما تعلمون تبا للهواجس).

احتضنتها فقد اشتقت لها حقا وأثنيت على جمالها التي آلت إليه، استقبلتني بهدوء نسبي (أو فتور أيهما أقرب للدقة).

وضحكت ضحكة قصيرة عصبية، ثم قالت:

- - شكرًا عزيزتي.

ثم قالت لي:

-هلمي أريد أن أغير تلك الثياب من ذلك المتجر.

قلت لها :

- أجئتي من أجل تغيير الثياب أم من أجلي؟

ردت بابتسامة (لم أفهم معناها) :

- من أجل الثياب بالطبع يا عزيزتي

بعدما غيّرت ما تريد نظرت لي ثم لساعتها، وقالت:

- حسنًا سأضطر أن أغادر الآن على وعد بلقاء آخر طويل صدقيني يا عزيزتي.

قلت لها باستياء نتيجة تصرفها الغريب:

- حسنًا كما تريدين.

نظرت لساعتها مرة أخرى، ثم قالت:

- لا تكوني صغيرة سخيفة فأنا سأسافر اليوم لحضور حفل زفاف في بلدتي، واستدارت مغادرة المركز التجاري، ثم رجعت لي مرة أخرى قائلة:

- كدت أن أنسى لقد أحضرت لكي هدية بسيطة لزواجك وأخرجت من حقيبتها علبة صغيرة مغلفة بورق هدايا. ثم استدارت مرة أخرى استعدادًا للمغادرة قلت لها وهي ذاهبة:

- أين تقع بلدتك يا بسمة ؟؟

قالت لي وهي مستمرة في السير دون أن تنظر للوراء : الزقازيق ..

***

عدت للمكان الذي انتظرني فيه زوجي ورجعنا سويًّا للمنزل، قمت بتغيير ملابسي ودخلت إلى المطبخ لأطهو عشاءً سريعًا، ثم تذكرت الهدية فرجعت مسرعة إلى تلك العلبة الصغيرة ففتحتها بسرعة لأجد بداخلها تمثالاً صغيرًا غاية في الروعة يمثل الإله الفرعوني باستيت ،الإله القط عند الفراعنة.

وضعته على الطاولة بغرفة الصالون ونظرت إليه كم هو جميل، ثم دخلت إلى المطبخ أطهو العشاء.

***

حاولت الاتصال ببسمة في الأيام التالية لأشكرها على الهدية، لكنها لم ترد، كنت كلما تجولت في المنزل مارة بغرفة الصالون أتأمل باستيت بإعجاب، فأنا لم تكن لي دراية بالمعبودات الفرعونية، لكن شئ ما في مظهر هذا التمثال يجعلني أتأمله يوميًّا.

وهكذا تعودت يوميًّا أن أختلس الدقائق للنظر إلى ذلك التمثال القط، وقد دُهشت عندما لاحظ زوجي هذا، وقال لي:

- ما بك يا ملك أنتي تقضين الساعات في تأمل ذلك التمثال؟!

- ساعات؟؟

قلتها مندهشة. فقال لي:

-نعم ساعات.

نظرت إلى النافذة لأجدنا صرنا ليلا، كيف صار هذا لقد كنا ظهراً، أسرعت إلى الهاتف لاتصل ببسمة فلم ترد، انتابتني الهواجس ودخلت إلى الفراش وخلدت للنوم، نوم مزعج هو، ملئ بالكوابيس المفزعة، أرى أنثى جميلة أم هي قطة جميلة، لا أعلم.

إنها تقترب مني، تقترب، أشعر بأنفاسها، أسمع مواءها من هي المرأة أم القطة، لا أعلم.

أرى بسمة أجرى نحوها لتنقذني لكنها تقول لي:

-لا أستطيع فأنا سأسافر الآن إلى الزقازيق.

أجري وراءها، يتعالى المواء أمسك بيدها لتستدير وأجدها ليست بسمة، بل قطة متوحشة تموء بقوة بوجهي.

أصرخ أجري أتعثر أقوم أصرخ أجري أتعثر ثم شهيق ..يوقظني زوجي ويهدئ من روعي العرق البارد يغرق ملابسي، وتوالت الأيام وتوالت الكوابيس وتوالت تأملاتي للتمثال القط وبسمة لا ترد كالعادة.

منذ متى وبسمة ترد منذ أن أهدتني تلك الهدية ؟!

***

كم من مرة صحوت على مواء القط، وكم كنت أتعجب حين أتذكر أننا لا نمتلك واحدًا !!

كم من مرة أعيد ذلك التمثال اللعين إلى موضعه الأصلي على طاولة الصالون من يحركه من موضعه .. حتمًا هو زوجي ..أكيد لم يتحرك القط وحده.

كم من مرة أرى انعكاس تلك المرأة أو القطة لا أدري،

في المرآة التي أعلقها في البهو الخارجي التي تعكس لي جزءًا كبيرًا من الصالة، وأنا جالسة على فراشي في غرفتي.

أشعر أنني صرت على غير ما يرام، لا أعلم ما الذي حلَّ بي، أشعر أحيانًا أنني في غاية المرح والسعادة وسرعان ما أشعر أنني في غاية الغضب والانفعال .. انفعال ليس له مبرر سوى الشر

نعم الشر ...

شر لا يهدؤه سوى جلسات التأمل اليومية في ذلك التمثال اللعين. بت متأكدة أنه يغير اتجاهه كلما وضعته في اتجاه أجده في اتجاه عمودي على الشرفة.

بت متأكدة أنه يتغير وحده دون أن يمسه أحد، بت متأكدة أن شرًا مستطيرًا كامنًا داخل ذلك القط، بت متأكدة أن شرًا مستطيرًا

كامنًا داخلي، بت متأكدة أن الايام القادمة لن تكون على ما يرام إلا إذا !

***

إلا إذا تخلصنا من ذلك التمثال اللعين، قالها زوجي بلهجة شديدة العصبية.

قلت له بعصبية مماثلة لكنها مفتعلة:

- لِمَ ..ما دخل القط بما يحدث

قال لي :

- ألم تلحظي تغير طباعك ..أنا قد تزوجتك وأنت كالقطة الوديعة وفجأة أصبحتي قطة شرسة.

انفجرت ضاحكة ضحكة عصبية وقالت :

- لقد امتلأت جملك بالقطط ... أرى أن من يتغير هو أنتِ وليس أنا

قال لي بلهجة آمرة:

- لقد اتخذت قراري سنتخلص من القط

هنا رنّ جرس الباب ....

***

وضعت أكواب الشاي في الصينية وبعض قطع الكعك وخرجت إلى الصالة لأقدمها للضيوف.

حسنًا إن الضيوف هم أستاذ خلف فهيم خال زوجي وحرمه فوزية هانم كانوا يزورونا لأول مرة بعد زواجنا.

قال الأستاذ خلف :

- نحن في أشد الخجل منك يا عروستنا الحسناء، لتأخرنا عنكم كل هذا الوقت منذ زواجكم، لكن كما تعلمون الحياة مشاغل.

- نعم يا خال إننا نقدر ذلك.

قالها زوجي

أمَّا فوزية هانم فقد ظلت محملقة بي....وإن باغتها بنظرة ابتسمت لي....أكره تلك النوعية من السيدات يثيرون حنقي.

كان الأستاذ خلف أستاذ التاريخ بمدرسة .... الثانوية للبنات يتكلم عن نوادره في المدرسة وكيف يتصرف مع البنات في هذا السن الذي يجعلهنَّ مائعات، وكيف أن قوة شكيمته وشراسته تجعلهنَّ يتحولنَّ إلى قطط خائفة لا تفعل شيئًا إلا استذكار مادته خوفا من غضبه وبطشه، وزوجته تنظر له نظرة فخورة، بمعنى أن هذا البطل هو زوجي.

قال زوجي لمدام فوزية ضاحكًا :

- كان الله بعونك مع خالي

قالت له بدلال لا يليق أبدًا عليها وهي تنظر لزوجها :

- لا فأنا قطته المدللة

عجبًا ما هذا الحديث القططي

أشعر أن خاله سيموء من السعادة، نظرت خلسة إلى القط الموضوع على المنضدة أمامي كان قد غيّر موضعه كعادته (منذ متى لا يغير القط موضعه).

ما هذا.... أهذا الذي أراه صحيحًا.....

إن عينا القط تضئ، نظرت مرة أخرى تبًا للهواجس ..لا يوجد شيئاً، فقط كنت أتخيل.

نظر زوجي لمكان تحديقي فظهرت على وجهه أمارات الغضب، فنظر الأستاذ خلف إلى ما ننظر إليه كلانا ثم وجدناه يصيح :

تمثال باستت ...ما أروعه!!

ثم قام من مكانه وتناوله بيديه، ثم بدأ يحكي ما يعرفه من معلومات تاريخية بحكم عمله عن ذلك القط.

***

«باستت»، ربة السماء، سيدة كل الأراضى. اتخذ المصريون القطة رمزاً للمعبودة «باستت»، ورُمز لها أيضاً بالهيئة الآدمية لسيدة برأس القطة. وقد قارنها اليونانين بآلهتهم

«أرتيمس». ويقع مركز عبادتها فى «تل بسطة» بالزقايق؛ حيث كانت عضو ثالوثها المكون من (آتوم، باستت، ماى حسى).

***

قلت لها وهي ذاهبة:

- «أين تقع بلدتك يا بسمة «؟؟

قالت لي وهي مستمرة في السير دون أن تنظر للوراء: «الزقازيق» ..

***

أفقت من شرودي لأتابع ما يقوله الأستاذ خلف قاهر البنات بالمدرسة الثانوية. ويرجع بداية ظهور «باستت» فى المصادر المصرية إلى عصر بداية الأسرات، حيث عثر على بعض الشقافات والأوانى التى سُجل عليها اسم المعبودة «باستت» فى منطقتى «سقارة» و»أبيدوس».

ويشير اسم المعبودة «باستت» إلى مكان عبادتها فى شرق الدلتا «تل بسطة»، حيث يعنى اسمها المنتسبة لتل بسطة. وتصور المعبودة

«باستت» عادةً فى هيئة أنثى الأسد (اللبؤة) جالسة، أو فى هيئة آدمية أنثوية برأس القطة. كما ظهرت على بعض الشقافات من الأسرة الثانية فى هيئة سيدة برأس اللبؤة.

وقد ارتبطت «باستت» بالقطة منذ الدولة الوسطى، وأصبحت تُمثل برأس القطة خلال عصر الدولة الحديثة. وأحياناً ما كانت تُصور ممسكة بالشخشيخة (الصلاصل) فى يدها. وقد نُفذ الكثير من التمائم والتماثيل الصغيرة لهذه الربة فى هيئة القطة خلال العصور المتأخرة كما عُرفت المعبودة «باستت» كربة للمرح، والموسيقى والرقص، وظهرت كأم معتدلة ومربية للملك فى نصوص الأهرام كما ارتبطت بإمداد المتوفى بالحماية فى «نصوص التوابيت» من الدولة الوسطى.

غير أن طبيعتها الشرسة ظلت موجودة مثل أغلب الربات فى هيئة اللبؤة. وقد نُظر إليها كابنة لرع و«عين رع». وارتبطت كذلك بالقمر، باعتبارها «عين القمر». وظلت علاقتها بالمعبود «رع» مستمرة، حتى حينما تُصور فى هيئة القطة؛ ولذلك فقد عرفت ب (قطة «رع»)، وقد كانت مدينة «بوبسطة» أو «تل بسطة» هى مقر عبادتها الرئيسى، إلا أنها حظيت بأهمية كبيرة وبانتشار واسع لعبادتها عبر مختلف العصور التاريخية القديمة، ولم يتبق من معبدها فى «تل بسطة» إلا بعض البقايا القليلة.

كما عبدت «باستت» فى مصر العُليا، حيث شُبهت أو مُثلت بالربة «موت» زوجة «آمون» فى «طيبة»، كما عبدت فى «منف»، وحملت هناك لقب (سيدة عنخ تاوى) منذ الدولة القديمة، وامتدت عبادتها إلى «دندرة» التى عُرفت باسم (بوباسطة مصر العليا)، كما امتدت عبادتها أيضاً إلى «طيبة»، و«هليوبوليس»، و«بنى حسن»، و«النوبة».

وقد حملت «باستت» العديد من الألقاب، ومن بينها: (سيدة الأرضين، وسيدة الأرباب، وسيدة السماء، وعين «رع» المسالمة، وعين آتوم)، كما لقبت بسيدة «بسطة» ارتباطاً بمكان عبادتها، وهو اللقب الذى ظل متواجداً فى النصوص حتى نهاية التاريخ المصرى القديم.

***

عندما غادر الأستاذ خلف وزوجته القطة المدللة كنت قد اتخذت قرارًا سأتخلص من القط ....

***

قال الطبيب وهو ينصت لما أقول:

- ماذا حدث بعد ذلك يا ملك؟

قلت له وكنت قد توقفت لاستطرد أنفاسي المتسارعة وأحاول أن أهدئ من خفقان قلبي كلما تذكرت ما حدث، كلما تذكرت أن القط الذي لففته بإحكام في لفافة ووضعته في كيس القمامة ووضعته خارج المنزل، كلما تذكرت أنني استيقظت صباحًا لأجده على المنضدة في الصالون وكأن شيئاً لم يكن، كلما تذكرت أنني في المرة الأخرى ألقيت التمثال في إحدى الحرائب البعيدة عن منزلي، كلما تذكرت أنني عندما عُدت إلى المنزل وجدته في موضعه وعيناه تلمعان، بل أكاد أجزم تضيئان:

أرى تلك النظرة الانتقامية أسمع المواء، أشعر بالحركة ورائي، أعرف أن زوجي في عمله، أعرف أن الأمر خارج نطاق الطبيعة، أعرف أن شرًا مُستطيرًا يكمن في منزلي، أسمع الضحكات من داخل غرفة نومي لا بل هي صادرة من حجرة الطعام لا بل من المطبخ لا بل من ....من كل أرجاء المنزل ضحكات مرحة، موسيقي غريبة تتعالى، أسمع أصوات آلات الهارب والأبواق تتعالى، تتعالى الضحكات.

«كما عُرفت المعبودة «باستت» كربة للمرح، والموسيقى والرقص».

تعالى خفقان قلبي، استدرت لأجري هاربة من ذلك المنزل الذي أصابه الخبال، جريت هاربة إلى الباب، كل ما أتمناه أن أستيقظ فقط استيقظي، لكنني لا أحلم هذه المرة، لقد غدا منزلي

كابوسًا حيًّا، جريت نحو باب الشقة تعثرت تبًا لتلك السجادة تبًا لها، عظمي يؤلمني، وقفت مرة أخرى، القط بجواري على الأرض، صرخت ثم واصلت الجري، لم أشعر أن الشقة صارت بهذا الحجم، لِمَ صار الوصول لباب الشقة مستحيلاً، جريت وصارت أنفاسي متقطعة، وأخيرًا ها هو المقبض، أدرته وفتحت الباب ثم .....

وجدتها أمامي .....

قال الطبيب وهو يخط بعض الملاحظات في دفتره:

- من هي ؟؟

ثم عاد ليكرر سؤاله:

- من التي وجدتيها أمامك ؟؟

قلت له وقد خفضت صوتي حتى لا يسمعنا أحد :

- بسمة

هنا قال زوجي للطبيب :

- منذ أن أصابتها تلك الحالة الهستيرية المفاجئة وجلبتها إلى تلك المصحة العقلية وهي تتحدث عن من تُدعى بسمة.

ولكنها شخصية من نسج خيالها فهي لم تقابل صديقة لها في المركز التجاري، وليس لي خال يدعي خلف.

ابتسم الطبيب وهز رأسه في فهم وقام قائلاً:

- سنكمل جلسة العلاج غدًا، الآن أرجو أن تستريحي قليلاً.

صدمني كلام زوجي فأخذت أصرخ في هيستريا وهنا نادى الطبيب الممرضين أمرهم بجلسة كهربائية لي ....لا

أرجووووووكم لاااااااا

نظر زوجي لي في أسى قائلاً :

- اهدئي يا ملك ...عودي إلى صوابك من أجلي.

ولمعت في عيناه دمعة حزن.

ربت الطبيب على كتفه قائلاً :

- ستشفي.... تلك الجلسات الكهربائية ستفيدها حتمًا.

***

كان الممرضون يجرون ملك إلى حجرة الصدمات الكهربائية، أمَّا زوجها فما إن خرج الجميع من الحجرة حتى مسح الدمعة المتساقطة من عينه وحلَّ محلها ابتسامة خبيثة، وقد لمعت عيناه وخرج مسرعًا من المستشفي ليجد بسمة في انتظاره في تلك السيارة الصغيرة وانطلقت السيارة مسرعة، أمَّا المقعد الخلفي للسيارة فقد كان فيه منظراً مألوفًا لنا بعض الشئ إنها علبة صغيرة بداخلها تمثال لقط .....

الباب الرابع..

فيلم السهرة..

فيلم السهرة..

الحادية عشر مساءً..

أشعر بالبرد الشديد وأنا أجلس أمام التلفاز أشاهد بعين غير متابعه إعلانات ما قبل فيلم السهرة

المزيد والمزيد من الإعلانات ... هذه الفتاة التي خرجت لتوها من إحدى صالات التجميل تنصحنا باستخدام هذا المرطب الخاص بالبشرة لنبدو فاتنات مثلها...هذه السيدة تنصحنا باستخدام مرق الدجاج حتى نصنع وليمة مثلها...هذه الفتاة المرتدية الزى الحريري تنصحنا بتناول الشيكولاته لنصبح لا أعلم لنصبح ماذا، ولكنها تخبرنا بأننا سنستمتع مثلها ..المزيد والمزيد من الإعلانات ..تبًا لكم أين فيلم السهرة؟

الثانية عشره مساءً

إنه تتر البداية للفيلم ..فتاة مزعورة لا تكف عن الصراخ والهستريا لا أعلم لماذا ثم.....

ظلام ثم موسيقى تصويرية لأسماء الأبطال ..

يبدو أنه فيلم سخيف تبًا لرداءة الأفلام هذه الأيام سأقوم بإعداد قدح من الشوكولا الساخنة لحين بداية الأحداث.

مشيت إلى المطبخ وأنا أفكر في مشهد تلك الفتاة المذعورة ...هههههه كل هذا سخيف ..ما الذي يمكن أن يجعل فتاة بهذا الذعر...

هنا سمعت خطوات ورائي فانتفضت وصرخت صرخة هستيرية فإذا بوالدي يهدئ من روعي: لا عليك صغيرتي أنه أنا شعرت بالظمأ وأنا نائم فقمت لأشرب.

حسنًا لقد فزعتني حقا فقال لي لم كل هذا الفزع، وما الذي يمكن أن يجعل فتاة بهذا الذعر ..

ثم أكمل طريقه إلى المطبخ.

حسنًا ما الذي يجعل فتاة بهذا الذعر غريب هذا نفس الجملة التي جاءت ببالي أبي رددها على مسامعي ..

من الواضح أن تفكيري مشوش بعض الشئ، قمت بتحضير مشروب الشوكولا وجلست أمام التلفاز مرة أخرى مرتدية ذلك الجورب الصوفي والقلنسوة الصوفية أحتسي الشوكولا الساخنة.

شعور رائع أن تحصل على وسائل التدفئة و الجو بالخارج شديد البرود متخيلا حالك إذا ما كنت بالخارج هذه اللحظة..حسنا لا داعي لمزيد من الترهات ...إنه الفيلم، يبدأ الفيلم بميلا وهي فتاة شقراء تجلس أمام جهاز التليفزيون وبيدها كوب به شئ لا أدري كنهه تحتسي ما به وهي تنظر للتلفاز.

بجوارها نافذة تظهر منها أمطار شديدة بالخارج، مازالت تتابع التلفاز باهتمام وفجأة دوي صوت الرعد .....لا ليس عندها لكن عندي أنا أم أنه كان عندنا نحن الاثنين لا أدري.

الجويزداد سوءًا بالخارج، لكني هنا بمأمن عن ذلك وهذا يزيدني حبورًا، رجعت لأتابع أحداث الفيلم هناك في ركن الشاشة رجل نعم رجل يتقدم نحو البطلة من خلفها وهي تتابع الفيلم ولا تشعر به.

الموسيقى التصويرية تتصاعد، هو يتقدم، الموسيقى تتصاعد الرعد يدوي في السماء دقات قلبي تزداد اضطرابًا، حسنًا هيا أيتها البلهاء انظري خلفك، إنه قادم، إنه قادم، إن.....

هنا شعرت بيد توضع على كتفي من الخلف، دوَّت مني صرخة صغيره لأجده أبي مرة أخرى.

معذرة حبيبتي واضح أنني سببتلك شعور بالذعر، اليوم قالها وضحك ما هذا يا أبي لماذا أنت مرتدياً ثياب الخروج بهذه الساعة، قال لي:

- حبيبتي مكالمة من العمل أنتي تعلمين أنه بلا ميعاد ثابت تقريباً ليس بيدي.

- في هذا الجو أبتاه.

- لن أتأخر حبيبتي أعدك قالها وابتسم لي وخرج أغلق الباب خلفه.

التفت إلى الفيلم الذي نسيته لأجد الرجل الذي كان خلف البطلة يبتسم لها ويخرج من الباب ويغلقه خلفه.تبًا لم أشاهد من هو هذا الرجل، ليكن لأتابع الأحداث وسأفهم، تتابع البطلة الفيلم، ولكن يظهر عليها الضيق لا أعلم لِمَ.

هنا سمعت ذلك الصوت إنه قادم من الأعلى، لا أحد هنا سواي أنا وأبي.

أبي بالخارج الآن

إذن مِمَّ هذا الصوت

قمت لأتفقد ماذا يوجد بالأعلى لكن لحظه ....إن البطلة قامت وتركت التلفاز واتّجهت إلى سلم خشبي لتصعده وهي تنادي

...hello hello ...any body there

لا أعلم لِم لكنني شعرت بالتوتر لا أعلم لماذا ؟!

اتجهت إلى السلم الخشبي لأرى ماذا يحدث بالدور العلوي، أشعر بالخوف ...صحت بصوت مرتجف: من بالأعلى، هل يوجد أحد هنا؟

صعدت لا يوجد أي شئ غير طبيعي، حسناً إنها الأوهام، هممت بالنزول مرة أخرى لأتابع الفيلم هذه الفتاة أشعر أنها تقلدني، فكرة سخيفة لمخ مشوش الأفكار.

نزلت لأجلس بمكاني مرة ثانية.

لقد عادت مره أخرى وبيدها الهاتف الخاص بها تتصل برقم معين، حسناً لن أقلدك هذه المرة لقد نامت كل صديقاتي لا يمكنني الاتصال بأحد هههههه.

أسمعها تقول أبي أبي أنت أجبني أرجوك أبي لاااااا

لا أعرف لم شعرت بتلك الرجفة تغمرني، أين هاتفي الخلوي ؟ اتصلت برقم أبي جرس طويل ممل، انتظرت طويلاً ...لا رد.

انتابني القلق، لا أعلم هل أنا أهذي أم ماذا لِم أعلق حياتي بحياة هذه الشقراء البائسة، أبي ذهب إلى عمله، لقد وعدني ألا يتأخر.

رغمًا عني نظرت إلى الشاشة الفضية، ها هو المشهد يتغير إنه الرجل الذي ابتسم للبطلة وخرج ها هو يقود سيارته ثم،..

ثم ما هذا إنه يقف أمام السيارة كأنه لا يخشى ذلك، وكأن الوقوف في عرض الشارع حق لكل إنسان.

لكن هل هذا يبدو بشري لا أعلم، مهندس التصوير جعل الإضاءة بهذا المشهد خافته لا تبين أية معالم البتة.

صوت فرامل أوقف الرجل سيارته بدلاً من أن يصدم هذا الأحمق، أمره بالابتعاد لكن هذا الشئ ظل بمكانه ... ترجل الرجل من السيارة ليرى من هذا الذي يريد أن يصدم ولا يخاف من شئ.

اندفع الرجل متجهًا إلى ذلك الوغد وهو ينوي أن يتشاجر حقا سيتشاجر، إن ذلك الوغد اضطره للترجل من السيارة في هذا الجو وابتلت سترته من المطر، لذا فهو حانق لذا فهو سيتشاجر.

أخذ يقترب منه وهو ينوي أن يتشاجر أن يصفعه.

لكن من هذا ،لا ما هذا، سيرجع إلى الخلف بهدوء نعم بهدوء إلى أن يصل إلى سيارته، سيركب سيرحل حتى إن اضطر إلى أن يصدمه بسيارته، لكنه لم يلحق أن يتقدم خطوة واحدة للخلف.

هنا انتفضت واقفة أبي لبست حذاءً بقدمي وجريت إلى الخارج وأنا أصرخ بهستيريا أبـــــــي .. «ما الذي يمكن أن يجعل فتاة تصرخ بهذه الكيفية ؟!

بنفس التوقيت التلفاز مازال يعمل بنفس التوقيت تترقرق على الشاشة صورة البطلة تخرج من المنزل تصرخ بهستيريا إنه نفس المشهد الذي ابتدأ به الفيلم.

«ما الذي يمكن أن يجعل فتاة تصرخ بهذه الكيفية أبـــــــي مازلت أجري وأصرخ كالمحمومة أين هو ؟

تجري البطلة وهي تنادي أبي أين أنت، هنا وجدته ....لا ليس أبيها بل هو... هو... ماذا لا تعلم كيف لها أن توصف ذلك، وهنا رأتها تلك المدية الفضية بيده إنه قادم .. إنه يريدها هي دون غيرها... إنه .....لا تعلم شئ فقط ظلام.

كنت أجري وألهث لأبحث عن أبي وهنا تذكرت أني تركت التلفاز يعمل .....فقط أريد أن أعرف ماذا تفعل البطلة الآن؟!

أمَّا على الشاشة الفضية نرى البطلة وقد طُعنت طعنة نافذة بمدية فضية فسالت دماءها لتلطخ كادر الشاشة، ثم نرى تتر النهاية لأسماء الأبطال ملطخًا بالدماء .....ثم ...

the end

تمت

***

الباب الخامس

زائر منتصف الليل

إنه ديسمبر...بالنسبة لي شهر ديسمبر أجمل شهور العام، البرد يتسرب إلى الأوصال ...تشعر أن الدم بالعروق قد خالف كل نواميس الطبيعة وصار متجمدًا، السماء تزأر بالرياح فتكاد تقتلع الأشجار من جذورها ... الشارع وقد خلى تمامًا من المارة ...البرق والرعد يعزفون سيمفونية رائعة لبيتهوفن ...وكأنها المقطوعة السادسة أو السابعة، يعقبها تصفيق حاد من الجمهور متمثلا في أمطار غزيرة تغسل الشوارع والسيارات فتجعلها نظيفة لامعة ...

أنا ...بالطبع أنا في الشرفة ...منذ متى تهطل الأمطار ولا أراها، أنا عاشق الشتاء، أنا عاشق البرد، أنا عاشق الأمطار، أنا المهندس سمير عبد الرءوف، أربعة وثلاثون عامًا، أعزب وحيد.

كلا لم أصل بعد لرجل غريب الأطوار متشك ...فأنا شاب على قدر من الوسامة، وقد حاولت الارتباط من قبل وكانت هناك مها الملاك الحالم، مها البريئة كطفل صغير، مها الرقيقة كالحلم، مها التي حينما تتكلم كل ما تتذكره مواء القطط الصغيرة، مها التي إذا فكرت أن تحب تجسدت صورتي أمامها، مها التي كانت تنبهر حين أتكلم حين أصمت حين أسعل، مها التي تكاد تنقطع أنفاسها انبهارًا وتصفق حين يصيبني الرشح، كانت تلك هي مها التي أخرجتني من كهف عزوبيتي لكي أخطبها.

أكرر كلامي كانت تلك مها ...

لكنها أبدًا لم تكن مها التي خطبتها، مها التي لم تعد تنبهر بكلامي ولا بي، مها التي صارت الأدوات المنزلية وطقم الأواني المعدنية الذي يعرض بالتليفزيون يهمها أكثر مني، مها التي إذا ما كلمتها لأحدثها عن عملي أو عن الأشعار التي كتبتها لأجلها كانت تحدثني عن الستائر والتنجيد، مها التي كانت ترفف بالسعادة عندما أعرض عليها الخروج للعشاء سويًّا.

تصرخ في وجهي الآن : وفر فلوسك مازال أمامنا مصاريف للزواج، وهكذا تحوَّلت حبيبتي مها إلى كائن لا أعرفه.

أمَّا حماتي العزيزة أم ملاكي الصغير كانت لا تحبني بأي حال، فأنا بطيء من وجهة نظرها، عيني زائغة، أكرر من وجهة نظرها... غريب الأطوار....

وهكذا تم إنهاء الخطبة سريعًا وبلا أي تحايل أو دموع على غرار الأفلام.

فقط أمي تراك .....و .....و ..... و..... وغريب الأطوار وأنا كذلك، خذ محبسك وهكذا.

لم أحزن ثانية واحدة ....الحق يُقال لقد فرحت، وها أنذا أقف في الشرفة مستمتعًا بالبرد والأمطار، وصوت المذياع يتسرب إلى مسامعي فأسمع صوت منير:

«تبعديني عن حياتك بالملل وخليتيني أقول خلاص مافيش أمل»

استمري هتخسريني ... استحالة هتكسريني.

قمت وتوجهت إلى المطبخ لكي أضع بعض الشاي على الموقد، ثم أخذت أبحث عن كوب زجاجي نظيف لكي أصب فيه الشاي، تبًا لأم رامي لم تحضر اليوم للتنظيف، هي لم تحضر منذ شهر تقريبًا ...رغم أنني سألت عنها، قالوا لي: إنها سافرت بلدها وستأتي بعد أسبوع ولكنها لم تأتِ بعد.

علمت من مصادر خاصة إنها لم تأتي خوفا مني لأني غريب الأطوار!!!!

تبًا لأم رامي ...تبًا لحماتي ...تبًا لمها تباااا للصراصير ....فقد أصبح المطبخ يعج بهم وفرصتي في الحصول على كوب نظيف باتت مستحيلة، فرغت من صب الشاي في كوب متسخ بعض الشئ، ومازال المذياع يترقرق بصوته إلى مسامعي:

وحسسيني إنك حجر.

أو وردة دبلت على الشجر.

صيرت صبر غريب رهيب لا يحتمل.

ثم عدت إلى الشرفة...لحظة أنا لم أغلق باب الشرفة ...لقد تركته مفتوحًا عندما ذهبت إلى المطبخ، أترى الرياح أغلقته ...ولكني لم أسمع عن رياح تغلق الباب بالمزلاج ...

لم أسمع أبدًا ....

أسمع صوت ورائي...صوت خطوات تحديدًا، والمذياع يكمل:

بتوهميني إن الحكاية بتنتهي

أبعد وقبل ضياعي منك تندمي

مابقتش بعرف دمعتك من ضحكتك.

أنا ..لم أجرؤ على الالتفات كنت أحملق في المزلاج المغلق وعلى يقين أن صوت الخطوات ورائي تتعلق أيضًا بمن أغلق المزلاج ....

صوت الخطوات يقترب ....يقترب...يقتر... صوت ارتطام كوب زجاجي من الشاي على الأرض، ومازال صوت المذياع يغني:

أصرخ مافيش ولا صرخة مني تعذبك

ما عرفش ليه بتعذبيني

لو بجرحك أمشي وسيبيني

ساكتة الحياة بينك وبيني

إحساسي بيكي راح أكيد

مش محتمل.

قصاصة من مجلة مشاكل الحب

ركن مشاكل العُشَّاق يحلها معكم الكاتبة: هبة محسن.

المشكلة الأولي كتبتها لنا الصديقة : مها البحيري

عزيزتي هبة ..لقد تعرفت إلى خطيبي وأحببته حبًا شديدًا ...لكنه صار غريب الأطوار.

نعم أقصد كل ما تعنيه الكلمة من معان ...أتعلمين عندما يصير خطيبك الحالم المحب غريب الأطوار..أنت أول من سيعلم ...لكنني كنت أخر من يعلم فالناس حولنا جميعًا لاحظوا إلَّا أنا ابتداءً من أمي حتى خادمته الشخصية.

حدثتني عما وجدته في بيته من أشياء غريبة ...كتب فيها مخطوطات ورموز وجماجم ...دعك من أشياء أخرى لا أريد التحدث فيها هنا حتى لا أثير هلع القُرَّاء...أتدرين خطيبي الوسيم الذي كان يدعوني على العشاء على أضواء الشموع ...صار مكانه المفضل ليدعوني فيه هو مطاعم اللحوم بالأماكن الشعبية ...إنه صار محب نهم للحوم ...أتدرين أشعاره التي كان يكتبها لي قبل الخطبة صارت أشعار مخيفة لا تتحدث إلَّا على كل ما هو مقبض ومخيف... تتحدث عن انتقام يلاحقه ...يتكلم عن موته وسط الأمطار.... يتحدث عن الشتاء الذي سيكتب نهايته، أنا أحبه ياهبة ولكنني اضطررت أن أنهي الخطبة فقد أصبحت أخشاه ...مازلت أحبه ماذا أفعل ؟

المعذبة:مها

جريدة أخبار .....

كتب صلاح كمال:

في حادث غريب من نوعه ...لقى المهندس سمير عبد الرءوف مصرعه في منزله، فقد أبلغ جيران العقار رقم ...شارع ....عن رائحة غريبة تخرج من شقة جارهم المهندس سمير الذي يعيش وحيداً وقد تقدّم كلاً من الرائد .....والنقيب ....إلى مكان الحادث فوجدوا

جثة المجني عليه ملقاةً على ظهرها، وقد تم طعنها عدة طعنات في أماكن متفرقة مما أدى إلى الوفاة ...ومن الجدير ذكره أن المجني عليه تم العثور على عدة كتب سحر وأدوات غريبة في بيته، وعند سؤال الجيران تكرّر أنه شخص غريب الأطوار !!!!

***

الباب السادس

دنيا الأسرار

طرااااخ ...تحطم الهاتف أثناء مروري بجوراره فعلقت قدمي بالسلك، وأنتم تعلمون الباقي على أية حال ....

وكأي خبير هواتف محترم أو كأي شخص يفتي فيما لا يعرفه قلت لأمي:

- لا..لا داعي لشراء هاتف آخر ...سأقوم أنا بإصلاحه.

- ومن أين حصلتي على تلك الخبرة الالكترونية يا سارة ؟؟ قالتها أمي ساخرة مني.

قلت لها:

- ناوليني فقط مفكا وسترين ...لن أصلحه فحسب بل سأصنع من هاتف وفاكس وعصارة برتقال إن أردتي ...

أصلحت الهاتف بالفعل وجعلته صالح للاستخدام ...احم كهاتف طبعًا وليس كعصارة برتقال فأنا موهبتي لم تصل لحد الاختراع بعد ...لكنها ستصل في يوم ما ...أعرف ذلك ...

وكبطة فخور بإنجازاتها العظيمة (إصلاح الهاتف طبعًا) مشيت في بيتنا أتخيلني وأنا أستلم جائزة نوبل في إصلاح الهواتف ...وقلادة النيل في إصلاح الهواتف أيضًا ...ثم سرحت بالخيال قليلاً (القليل من الخيال لن يفسد من الأمر شيئا فأنا واقعية جدًا كما ترون) تخيلت

أنني في لقاء تليفزيوني وتسألني مذيعة مرتابة تنظر حولها باستمرار عن براءة اختراعي الجديد وهو تحويل هاتف إلى آلة صنع القهوة ... وتتناوب الجوائز العالمية من جميع ال....

سارة ....إنها أمي لابد وأنها ستشكرني مرة أخرى على إصلاح الهاتف (مع إنني لا أتذكر أنها شكرتني مرة أولى)...

دخلت إلى الحجرة فوجدتها تنظر لي نظرة فخر(أشعر أنها نظرة سخرية) بالطبع فخورة بي وفي يدها ورقة مالية بقيمة مائة جنيه ...

شكرًا شكرًا يا أماه لا داعي لشكري بالأموال ..إنها خدمة بسيطة، ليس عليك شكري، ولكن مع ذلك سأخذ النقود لن أرجع يدك خائبة ...

قالت لي :

- تلك النقود ليست لك ..لكنها لشراء هاتف جديد

قلت لها وقد أحبطتني المفاجأة :

- لماذا يا أمي؟

قالت لي :

- الشاشة لا تظهر رقم الطالب.

- إذن سأصلحه.

سارة (مع نظرة نارية لا تجيدها إلا أمي الحبيبة) سأبدل ملابسي حالاً وأنزل لشراء هاتفًا آخر.

***

الساعة الثانية ظهراً ...درجة الحرارة قد تجاوزت الأربعين والرطوبة عالية ...فأشعر أنني لا أستطيع التنفس ...أشعر أن الهواء قد أصبح له ملمس لزج ...

خلت الشوارع من المارة تمامًا ...فدرجة الحرارة لا تطاق ...ذهبت إلى محل لبيع الأجهزة الالكترونية بجانب المنزل فوجدته مغلقا...أغلب المحال كانت مغلقة في ذلك الوقت ....فتشت عن أي محل آخر لبيع الهواتف، ولكنني كلما مشيت إلى آخر وجدته مغلقاً ...

الحر شديد، الشمس تلمع في الأفق ...العرق يتصبب من جبهتي ...كنت عائدة إلى المنزل بعد أن ابتعدت مسافة لا بأس بها في البحث عن محل يفتح أبوابه...كنت أفتش عن محل لبيع المياه الغازية لأنني قد تعبت من المشي والحر الشديدين...

رأيت شارعًا جانبيًّا تحفه أشجارًا كثيفة من الجانبين أحالته ليلا في ذلك الوقت من الظهيرة، حسنًا لا بأس سأمشي في ذلك الشارع لأرى إن كان به محال أم لا ...وهي فرصة لا بأس بها لأمشي في شارع تحجبه الأشجار قليلا عن الشمس...تقدمت إلى الشارع وبدأت أمشي فيه ولا أعرف سر تلك الرجفه التي أشعر بها ...رجفة برد هي ...أمعقول في ذلك الجو الخانق أشعر بالبرد !!!

استمريت في الترجل في ذلك الشارع، وكلما مشيت كلما زادت البرودة...هواءً باردًا يلفح وجهي ...نظرت إلى أظافري فوجدتها قد ازرقتا من البرد ... ماذا يحدث أأصابتني ضربة شمس من ذلك الجو وتلك تأثير الحمى!!!

كان بالشارع عدد قليل من المحال الذي أغلق أصحابها أبوابها، التفت لأعود أدراجي إلى المنزل وأنا أنتفض من البرد المفاجئ الذي أصابني،لأجده أمامي .....

***

مكتبة صندوق الأسرار

هدايا..أدوات مكتبية ..تحف ..اكسسوارات ..لعب ..تغليف هدايا .. كل ما تتمنى ...أعجبتني كل ما تتمنى تلك ...أكيد صاحب

المكتبة يتمتع بحس فكاهي عالي ...دخلت إلى المكتبة الشبه مظلمة إلا من مصباح واهن في سقفها يرتعش نوره باستمرار. رأيت العديد من البضائع متناثرة على أرفف واهية كان موضوع عليها أسعارهم .... أسعار زهيدة حقا ...حتى إنني شككت في القوى العقلية لصاحب تلك المكتبة .

كان يجلس هناك خلف كاونتر قديم يرفع الجريدة إلى وجهه (كيف يرى في تلك الإضاءة الرديئة) فلم أتبين ملامحه وهو لم يُنزِل الجريدة عن وجهه منذ دخولي.

كنت أنظر إلى البضائع العديدة المعلقة، حقاً كل ما تتمني ليست كلمة فكاهية كما توقعت ...

- احم ...

قلتها وأنا أقترب منه، أنزل الجريدة من على وجهه ... عجوز واهن هو...ثم قام من على مقعده وبيد مرتعشة ترك الجريدة جانبًا، ثم توجه إلى إحدى الأرفف الواقعة بآخر المكتبة وتناول هاتفا عملاقا ثم جاء بخطى مرتعشة بطيئة وضعه أمامي على الكاونتر، ثم قال لي بصوت مبحوح ضعيف :

-إنه أخر قطعة لديَّ.

مهلاً ...من أين علم أنني أريد شراء هاتفا...أنا لم أطلب منه شيء، نظرت إلى وجهه فرأيته ينظر لي وقد ارتسمت ابتسامة بشوشة على وجهه. حسناً يجب أن أعترف أنني أصبت بضربه شمس قاسية جعلتني أنسى ما أقول..

أكيد قد طلبت منه ثم نسيت ...

كان الجو بداخل المكتبة دافيء عكس الشارع البارد بالخارج أو هكذا خُيل لي ...

بالفعل هي حمى تجعلني أشعر بالبرودة، ثم الحرارة مرة أخرى فالحرارة عالية واستحالة أن أشعر بالبرد إلا أن كانت حرارتي سترتفع..

قلت له:

- بكم ذلك الهاتف

رد قائلاً:

- خمسون جنيهًا

قمت بدفع المبلغ له، ثم وجدته يقوم بجذب إحدى الحقائب القماشية الذي

يبيعها بسعر زهيد ويضع لي فيها الهاتف قائلاً :

-عذرًا فالحقائب البلاستيكية قد نفذت ...

قلت له:

- ألا يوجد له علبة

قال:

- لا، إنها أخر قطعة ...

قلت له:

- حسنًا

ابتسم ابتسامة عريضة وقال لي:

-أهلاً بك في صندوق الأسرار ..حيث كل ما تتمنين.

ثم جلس مرة أخرى على مقعده وأخذ الجريدة ورفعها إلى وجهه.

***

لم أصب بالحمى كما توقعت ... أبدلت ملابسي ثم قمت بإخراج الهاتف من الحقيبة لتركيبه ...

***

ترررررررن ...ترررررن

أفقت من النوم على صوت جرس الهاتف، نظرت إلى شاشة عرض الرقم لكنها مظلمة لا تظهر أي أرقام، تبًا حتمًا ستلقي بي أمي في إحدى فتحات الصرف الصحي، لكن لا بأس سأخرج سالمة من هذه الفتحة وأستحم وأرجع لها مرة أخرى ...

- ألو ...

ألوو

ألووووووو

واضح أن من على الهاتف أصم، وضعت السماعة بعصبية تمثيلية من هذا ال....

ترررن ....تررررررن

تبًا

الووووووو

هنا سمعت ...هنا سمعت هذا الصوت أم أقل الصوتين، إنها محادثة بين شخصين ليس أنا طرفًا فيها، ما هذا الهاتف العجيب، أهو يرن ليسمعني محادثات أشخاص لا أعرفهم، لا أعرفهم !!!

هنا دققت في الصوت، أهذا صوت ليلى صديقتي، أهذا صوت لبنى الفتاة التي تشاجرت معها منذ يومين، لماذا تكلمها ليلى؟ اسمعهما يضحكان، كيف تضحك ليلى صديقتي الوحيدة مع عدوتي، أرأيتي وجه سارة حين سددت لها الشتائم باحتراف، وجهها أصبح مثل ثمرة الطماطم من فرط الخجل، مزيد من الضحك.

أسمع صوت صديقتي يضحك، ثم تردف قائلة:

-أكثر ما أضحكني عندما طرحتيها أرضًا أمام جميع رفيقاتنا، لكنني اضطررت أن أساعدها على النهوض وتمثيل الخوف عليها، اه لو تعلم كم أكرهها تلك المقيتة، ثم عاودا الضحك مرة أخرى.

صديقة عمري تمقتني

***

تكررت رنات الهاتف وتعالت أجراسه في المنزل، حتى أنه أصبح شاغلي الشاغل في المنزل،

أصبحت لا أتحرك من جانبه، تكررت المحادثات بين جميع الأشخاص الذين أعرفهم، تتالت المفاجآت، توالت الصدمات، لم أعد أحتمل ما أسمعه، لم أعد أحتمل نفاق الأشخاص.

نادرًا ما كان الهاتف يظهر الأرقام عندما يكون الطالب يريدنا نحن ولا تكون هناك محادثات ثنائية. أتذكر حين رأيت رقم ليلى صديقتي، أتذكر حين أخبرتها أني لا أريد معرفتها بعد اليوم، أتذكر حين قلت لها أني في أشد الندم على معرفتها في يوم ما، أتذكر حين أغلقت الهاتف في وجهها، أتذكر حين انفجرت باكية بعدها.

***

حتى أمي لا أدري ما الذي أصابها، أراها أصبحت قليلة الكلام وحيدة منطوية على نفسها، أتراه الهاتف كشف لها أحد الاشخاص، ربما .....

***

إلى أن جاء اليوم اليوم الذي تشاجرت فيه والدتي معي بدون أي سبب، إنها تتهمني بأشياء لا أعرفها ولا أفهمها ولم أقولها، دخلت إلى حجرتي وانفجرت باكية، حقا لا أستطيع تحمل كل هذا منذ متى أصبحت كهذا.

كانت السعادة تحلق فوق منزلنا، فما الذي حدث، ما الجديد في هذا المنزل، ما الجديد الذي أصابنا بالشؤم، وقعت عيناي على الهاتف مرة أخرى، أمشي في ذلك الشارع البارد رغم درجة

الحرارة العالية، أشعر بالبرد الشديد، أضم طرف سترتي إلى جسدي لأحصل على بعض الدفء قاصدة المحل.

« صندوق الأسرار « حيث كل ما تتمناه.

وقفت أمام المحل، أو ما تبقى منه، لقد زال، أرى فاترينة المحل وقد تم طلاؤها باللون الأبيض وأزيلت اللافتة، رأيت محلاً للكواء بجواره فذهبت لأسأل صاحب المحل:

- أين ذهب صندوق الأسرار؟

- أي صندوق تقصدين، وملامح الاستغراب مرتسمة على وجه المكوجي

- المحل الذي بجواركم

قال لي الرجل وقد لاحت على وجهه شئ من التذكر والفهم لِما أقوله:

- اااها ..تقصدين صندوق الأسرار

يا للذكاء ..قلتها في نفسي بالطبع وتركته يكمل

- أذكر أنه منذ ما يقرب من الخمسين عامًا كان بالفعل اسم المحل الذي بجوارنا صندوق الأسرار كان يبيع مقتنيات أثرية وسحرية

في نفس الوقت. وكان صاحب المحل أحد السحرة ويبيع مقتنياته السحرية وراء ستار هذا المحل، لكن ما إن اكتشف أمره رحل هاربًا ومنذ ذلك الحين كلما يؤجر المحل أحد التجار، لا يستطيع المكوث فيه إلا أيامًا قلائل ويتركه. إن المحل أصبح ملعونًا كصاحبه وهو على هذا الحال منذ سنين، خال تمامًا.

ما سر سؤالك أيتها الفتاة عن صندوق الأسرار ومن أين جئتي بهذا الاسم القديم ؟!

***

سارة ..سارة

حمدًا لله لقد أفاقت يا طنط، قالتها ليلى صديقتي، هنا رأيت وجه أمي بشوشا كعادتها،

- حمدًا لله على سلامتك يا سارة لقد أخفتني عليكي.

- ما الذي حدث

قلتها غير قادرة على النطق

قالت لي أمي:

- دور من الحمى الشديدة التي عقبتها هلاوس، وأحضرت لكي الطبيب حبيبتي وأعطيتك الدواء. وها أنتي تعافيتي حمدًا لله

- إذا ما حدث لي كله كانت هلاوس من الحمى البرد الشديد في الشارع كان برد الحمى ..صندوق الأسرار ..مكالمة ليلى لعدوتي ..مشاجرتي مع أمي واتهامها لي بما لم أفعله أو أقوله...صاحب محل الكواء ..الساحر .. المحل الملعون ..الهاتف.

هنا سمعت الصوت المقيت

نظرت إلى مصدر الصوت فرأيته

تررررررررن

***

الباب السابع

شجرة الخريف

فقدت أمي منذ فترة بسيطة وقبلها فقدت أبي باتت الحياة سوداء بالنسبة لي، ربما لم تكن في سواد الليل، لكنها كنهار ملبد بالغيوم في شهر نوفمبر نزع الخريف منه ألوانه وغابت شمسه وهاجت عواصفه واقتلعت أزهار روحه وأوراق حياته ..

بالرغم من حبي لذلك الفصل في الماضي فالخريف في مصر والقارة الإفريقية عامة له رائحة الأرض المبتلة؛ بقايا الأزهار وأوراق الشجر التي وقعت على الأرض ذابلة، لكنها أبت أن تفنى بلا ذكرى فبقيت لنا في هيئة عطر جميل كلما أمطرت السماء وابتلت الأرض وأوراق الشجر المتساقطة كلما دفق عطرها في أنوفنا ...عطر حزين هو يذكرك بنهاية اللقاء مع حبيب وأيدي متشابكة ترفض فكها، ولكنه برغم كل شئ عطر يبعث في النفس انتعاش لن يفهمه إلا من استنشقه فكأنما تقوم بإنعاش روحك من الداخل ....

أصبحت أرى ألوانا باهتة، بات أي موقف يبعث على الفرح سبباً لدموعي لعدم وجودهما معي،

كنت في مقتبل عمري بعد وأشعر بمباغتة الحزن لي بمفاجآته.

تصور معي قميصًا زاهي اللون معروض بواجهة المحل وما إن قام شخص بشرائه وتم غسله بلا رحمة مع العديد من الملابس ذات

الرائحة الكريهة في الغسالة الكهربائية، تخيل معي شعوره بالغسّالة تمامًا شعرت بذلك اما لحظة انتهاء الغسيل المباركة وعصره ونشره.

أترى تلك الكرمشة التي أصابته مثلها بالظبط أصيب وجداني، مهلاً إنه كان أخضر زاهي، لكنه صار أقرب للرمادي ..تبًا لمساحيق الغسيل ذات المبيضات لقد اقتلعت لونه من جذوره كما اقتلع ألم الفقدان قلبي مني.

رأيته ..كنت أجلس حزينة بتلك الكافيتريا المتواضعة الموجودة بنفس الحي الذي أقطن فيه، كنت أعلم روادها لكثرة جلوسي فيها، لكني لم أراه من قبل، لم أكترث كثيرًا وواصلت قراءة الكتاب الذي كان بيدي، لقد صار الكتاب أقرب رفيق لي بعد أمي هو من يهون عليَّا وحدتي ..أدخل بالكتب في عوالم خيالية ينسيني الدنيا القاسية على قلبي.

نحيت الكتاب جانبًا لأرتشف قهوتي ذات المعلقة سكر المفضلة عندي، رأيته ينظر لي وقد فاجأه أني نحيت الكتاب جانبًا ورأيته مما دفعه إلى الالتفات إلى الجهات الأخرى بطريقة مفتعلة كأنه ينظر إلى كل مكان.

ارتشفت قهوتي ثم نظرت إلى الكتاب مرة أخرى، لكني لم أفهم حرفًا مما أقرأ هذه المرة، ورأيتني أنحي كتابي بخبث وأنظر باتجاهه،

لكنني لم أجده لقد ذهب ..لمت نفسي كثيرًا على هذا التصرف المراهق مني .

أيشغلني شخص نظر لي نظرة عابرة أصدقت أنه وقع في حبي، ألهذه الدرجة صرت مفتقدة اهتمام أو حنان أي شخص عابر على ..لمعت عيني بالدموع فسارعت بمسحها بيدي لم تكن معي مناديل ورقيه بحقيبتي ودفعت حساب قهوتي وغادرت ..

انشغلت بعملي في الفترة التي تلت ذلك اليوم أقضي النهار كله أعمل وأعود إلى منزلي منهكة لا لأجد فيه أمي تحضر لي غذائي وتأخذني بحضنها ليلاً كما كانت تفعل؛ لكي أنام وتهدهدني كطفلة صغيرة ولست كشابه يافعة.

كنت أسمع صوتها يتردد بين الجدران الشمس بتغير منك يا حلوتي، ولا أجد أبًا عطوفًا حنونًا يفتح لي الباب ويقول لي حمدًا لله على سلامتك يا ابنتي، الآن ولقد عدتي أستطيع أن أطمئن وأنام مع أن الساعة لم تتجاوز الخامسة عصرًا بعد وهو لن ينام الآن، ولكن تلك الجملة كانت محببة لنفسي أشعر أن جدارًا بالأمان يحيطني من أم حنونة وأب عطوف مهما عصفت أعاصير الخريف لن تتساقط أوراق شجرتي، ولن تغرب الشمس عن بيتنا أبدًا.

لكنها أوراق شجرتي سقطت أصبحت جرداء.. سقط حائط الأمان عني وعن منزلي.

لن يدق هاتفي عن أب يتساءل أن الساعه صارت الخامسة وثلاث دقائق، ولم أعود بعد الذي حدث اخطفت أم تم اعتقالي.

أعديت لنفسي بعض المكرونة الساخنة، ولكن مع أول ملعقة أنزلتها من فمي واغروقت عيناي بالدموع .. حاولت النوم أن مشقه النهار كفيلة أن يغفو بها تنين لكن عيناي لم تغمضا لحظة،

نظرت إلى الساعة الفسفورية المضيئة في الظلام .. الساعه مازالت السابعة والنصف مساءً لن أنام الآن.

قمت بدّلت منامتي وارتديت معطفا ثقيلا ونزلت .. مشيت حتى الكافيتريا كدت أتجمد من برودة الجو ضممت أطراف معطفي إليّ ..

جاء النادل طلبت الكابتشينو الساخن هذه المرة وأخرجت كتابي من الحقيبة ونظرت حولي نظرة سريعة ولم أفصح لنفسي عما أبحث تظاهرت أمام نفسي أني لا أبحث عنه، وبدأت أغرق في أحداث الكتاب.

جاء النادل بالكابتشينو ارتشفت بعضًا منه ثم تأملت عبر باب الكافيتريا الزجاجي الأمطار بالخارج، إنها تهطل بقوة أرى المارة يجرون في الشوارع طمعًا للهروب لبيوتهم بحثا عن الدفء، ولكني

بت أبحث عن الدفء بوجود أشخاص حولي حتى وإن كنت لا أعرفهم.

الدفء ليس دفء جدران، ولكن دفء أشخاص حولك.

شردت بتفكيري تذكرت أمي الحبيبة صديقة طفولتي وصباي وشبابي، وتذكرت أبي الحبيب فاغرورقت عيناي بالدموع كالأمطار الهطلي بالخارج وربما أكثر قليلاً كأنها كانت موجودة بالفعل وما إن جاءت ذكراهم فاجئتني بنزولها الذي لم أستطع منعه مثل كل مرة، بحثت في حقيبتي اللعينة عن مناديل لم أجد تباً لقد نسيت شراء عبوة مرة أخرى.

كنت أمسح دموعي بيدي حتى لا يلاحظ أحد بكائي من رواد الكافيتريا، ولكنني فوجئت بيد أحدهم تمد بمنديل يمسح عبراتي المنسابة انتفضت من مكاني ورأيته ..نعم هو من أين جاء لا أدري رأى انتفاضتي فقال لي مهلك لم أقصد إخافتك تفضلي منديلا .. أخذته منه وأنا مشدوهة احملق فيه كان قد سمح لنفسه بدون إذن مني أن يجلس معي على منضدتي كان أخذي المنديل منه علامة على موافقتي على جلوسه مسحت دموعي وتمخطت في المنديل في ضحك، وقال لي: -- كم أنتِ طفلة !

ونادى على النادل، قال له خد هذا الكوب وأحضر لنا كوبين من العصير الطازج وقطع الجاتوه

لكني لم ..قاطعني بنظره صارمة فسكت.

ذهب النادل فقلت له بحدة:

- من أنت، وكيف تسمح لنفسك أن تتطفل عليّ هكذا؟

قال لي بلهجة طفولية:

- مهندس حسام

وهو يمد يده لي لأصافحه ضحكت، وقلت له:

- وهل لأسمك ومهنتك ردًا على سؤالي.

قال لي بنفس المرح:

- بالطبع يا حلوتي

حلوتي كما كانت تناديني أمي ..شردت فقطع شرودي قائلاً :

- وأنتِ ؟؟

***

في الأيام التالية زاد التعارف وزادت ألوان الدنيا إشراقًا، صرت أرى الربيع قادمًا بعيني

زاد ترددي على الكافيتريا، ثم أصبح يصطحبني لشراء أغراضي والاهتمام بتفاصيل حياتي الصغيرة.

شعرت أن جدار الأمان عاد لي مرة أخرى.

تسكعنا بالشوارع كثيرًا وأكلنا الآيس كريم والحلوى كان يشعرني كأني طفلته كما كان يفعل أبي، تعلقت به كثيرًا لم أكن أحبه كحبيب، بل كأب وأم وصديق وأخ وحبيب.

صرت أخاف عليه من أي شئ إن لم يرد على هاتفي أبكي بكاءً حارًا ظنًا مني أن من الممكن أن يكون أصابه مكروه وأفقده كما فقدت أبوي .. كان دومًا يكفكف دموعي بمنديله ويقول لي لا تخافي يا حلوتي إني بخير.

جاء اليوم الذي طلب فيه مني الارتباط، كنت أشعر بفرحة وخوف في الوقت نفسه

لا أعرف لماذا، ولكني وافقت بطبيعة الحال، جاء أبواه واتفقوا مع أعمامي على تفاصيل الزواج وتم الزواج، قضينا شهر عسل سعيد جدًا وللدقة اللغويه أسبوع عسل وعاد إلى عمله، أمَّا أنا فلم أعد أعمل بعد ثم .. تم التغيير الجذري في شخصيته، فحسام الرقيق الملائكي

أصبح يصرخ بوجهي لم يعد يهدهدني كطفلته لم يعد يتحمل طفولتي وعنادي التي طالما قال لي قبل الزواج أعشقها.

أصبحت أبكي كثيرًا وحدي ولم أجد يومًا منديله يمسح دموعي أراها تتساقط على بنطال بيجامتي، بينما حسام يشاهد مباراة الأهلي وإنبي وهو يأكل طبق البطاطا المقلية جانبه.

لقد انتهى الماتش من الممكن أن أجده الآن يهدئ من روعي ويمسح دموعي ها هو أسمع صوت أقدامه قادمًا نحوي، لكن هيهات أنه متجه للمطبخ لإحضار المياه الغازية ينظر إليَّ نظرة عابرة ثم يرجع للغرفة ليشاهد فيلمه المفضّل.

نمت على الكنبة حتى الصباح وجدت حسام يهزني برفق ويقول لي حبيبتي لماذا تنامي هنا اغرورقت عيناي بالدموع مد يده يمسحها لي شهقت بقوة وأفقت تبًا لم يكن حسام أنه عقلي الباطن الذي صوَّر لي حسام على أنه الملاك الذي تزوجته وسمعت شخير زوجي الحبيب قادمًا من الغرفة.

مرت الأيام وكل يوم يهدم طوبة من جدار الأمان الذي أقامه لي زوجي إلى أن أصبح الجدار قابل للهدم بأي وقت. في كثير من الأوقات قمت بلم ثيابي وأغراضي بعد أن تمادى حسام في جفائه تجاهي وقسوته وردوده الجافة تجاهي إلى تحوله لضربه لي.

وكل مرة أعود خائبة اليدين لعدم وجود مكان آخر لي، حتى منزلنا كان إيجار تركته بعد زواجي من حسام، استمرت الحياة مع عودة اللون الباهت للخريف بعيني أكثر من ذي قبل، أصبحت أشعر باللامبالاة لمعاملته تجاهي، فقدت شعوري بحبه واهتمامي به وكأنني من قسوته قد صنعت جدارًا جليدي حول قلبي فقدت به شعور الأمان لأي شخص ماعدا أبي وأمي رحمهما الله.

لم يهتم حسام لموقفي الجديد وعدم اكتراثي به وعدم بكائي لتصرفاته تجاهي، ولكن هناك شئ آخر صار يشغل اهتمامي أكثر من حسام وتصرفه تجاهي أني أرى حسام آخر بالمنزل.....

في بدايتها كنت أرى حسام يتردد كثيرًا على أحلامي بحنان ولطف ليس له مثيل وعندما يحاول ملامستي أو إمساك يدي تسري كهرباء عنيفة بجسدي فأنتفض وأشهق مستيقظة.

لاحظ زوجي كثرة استيقاظي ليلاً واضطراب نومي ولم يبالِ، ثم أصبحت أراه حقيقة للحظات وأنا بالمطبخ يعبر أمامي متجهًا للباب أو خارجًا من غرفة متجه للصالون وهكذا ثوان، ولكنها كانت كافية لتيقني أن ما أراه ليست أوهام أو أحلام يقظة، إمَّا أن أكون مريضة عقلية بالهلاوس أو أكون جُننت.

مرت الأيام هكذا في بداية الأمر كنت أخاف، ثم ما لبثت أن اعتدت الأمر اعتدت ظهوره أمامي لثوان عابرًا من مكان لأخر .. اعتدت وجوده بمنامي حنونًا لطيفًا يشعرني أني ابنته، ويوم تلو الآخر تفتر علاقتي بزوجي حتى يكاد أن تمر أيام دون أن نتحدث ولو بكلمة.

جاء اليوم الذي انقطع فيه العابر عن العبور أمامي أو الظهور بأحلامي، كدت أجن خوفًا أن يكون أصابه مكروه، فهذا الشئ كان يظهر لحظات بكائي وشجوني وخوفي، لم يعد موجودًا، صار حسام زوجي عصبيا في الأونه الأخيرة أكثر من قبل، أصبح يضربني بعنف وقسوة، صرت أبكي بالساعات والأيام، ذبلت وصرت هزيله.

وفي يوم نزلت لشراء بعض الخضروات لإعداد الغذاء أثناء وجود حسام بالعمل، ثم صعدت حاملة بيدي كيس من البصل وحزمة من الملوخية.

سمعت جارتان في الطابق السفلي تتحدثان على الدرج كنت لست على علاقة بأحد من الجيران ألقيت عليهم التحية ثم صعدت، سمعت إحدهنَّ تهمس للأخرى. هذه هي زوجة الرجل الذي اشترى الشقة المسكونة في الطابق العلوي سقط كيس البصل وأرهفت السمع أكثر لأسمع الأخرى تقول لها: نعم شقة نبيل الله يرحمه، كان شابًا مهذبًا حنونًا، وكان يشبه زوج تلك الفتاة لدرجة كبيرة، مات في حادث تسرب الغاز الذي حدث في المنزل، ومن ذلك اليوم لم

تؤجر الشقة أو يشتريها أحد؛ لأن كل من يسكنها يسارع بمغادرتها نظراً لرؤيتهم المرحوم عابراً أمامهم.

تساقطت الدموع على خدي بانهمار، إذن هو ليس وهم إنه حقيقة، إنه الشخص الوحيد الذي مسح دموعي عندما خذلني حسام، لكن نبيل مات وأمي وأبي قد رحلوا أيضًا، لم يعد حسام يهتم لأمري البتة.

لم يعاود نبيل الظهور، ليس لي معارف أو أصدقاء، كل من أعرفهم من أصدقائي مشغول بأموره وتفاصيل حياته، أحبابي جميعهم رحلوا؛ لذا قررت وأنا أطهو الملوخية أن أنهي طهوها حتى يجد حسام ما يأكله عندما يرجع من العمل، وأطفأت موقد النار ولكني لم أطفئ الغاز .

نظرت إلى الساعة أن باقي ساعتين على ميعاد رجوع زوجي من العمل، لقد قررت الرحيل لأحبابي لمن يحنوا عليَّ ويهدئ من خوفي ويطمئنني، ذهبت إلى فراشي وأمسكت بطرف الغطاء ثم أغمضت عيناي وفي عيني مليون دمعة تريد الخروج .

***

الباب الثامن

لعنة أم كابوس

كنت أحاول النوم بلا فائدة، منذ الأحداث الأخيرة والتوتر الذي انتابني بالأيام الأخيرة والنوم يجافيني. توتر، قلق بالعمل، مشاكل بالمنزل ..خلافات مع صديقاتي ..لترات من القهوة بدون سكر، حتى تعدل من مزاجي السيئ ..التفكير الذي كاد يجعل من رأسي ناقوس يدق باستمرار، الصداع العنيف الذي لا يهدأ..

أشعر أن رأسي بركان على وشك الانفجار .. كم أنا متعبة... كم أنا مشفقة على حالي ..أتمنى فقط أن أنام ..لكن من أين لي هذا النوم.. إنه جفا أجفاني ..ما عدت حتى أشعر بالنعاس ..أظل ةمغمضه عيناي لساعات بلا فائدة.

نزلت من على الفراش ..وقفت على أرجل لا تقوى على الوقوف من الإرهاق ..مشيت نحو المرآة ..هالات سوداء قبيحة تحت عيني.. كم أتمني النـوم ؟!

***

د.يوسف راغب

للطب النفسي

- فقط أريد أن أنـــــام يا دكتور .....سيصيبني الجنون إن لم أنم .....أشعر بالتعب الشديد ...

- فقط استرخي ... واحكي لي كل ما مر بكي، وبما تشعرين؟

إن هذا الطبيب مظهره غير مريح البتة ...أشعر أنه لو صار له قرنين على جانبي رأسه لصار أشبه بالشيطان ذاته ....إن أعصابي حقا متعبة .....أصبحت لي ملاحظات عجيبة الأغرب أني أسكن بالحي عشرون عامًا ولم ألحظ أنّ به طبيب نفسي إلا اليوم فقط، ليس ذلك مهم بالنسبة إليَّ، الأهم أن أنـــــــام.

- بم شردتي ؟؟ أكملي من فضلك.

***

ها أنا قد بدّلت ملابسي وارتديت منامتي الصوفية وأحضرت كوبًا من الشوكولا الساخن لمساعدتي على النوم.

أحضرت علبة الدواء التي أعطاني إيّاها الطبيب الشبيه بأفظع كوابيسك على الإطلاق ..إن مظهر الطبيب وحده يجعل النوم يجافيني لمدة أعوام ....ضحكت لتخيلاتي الحمقاء ...

حسنًا الناس ليست بمظهرها ...فهو طيب جدًا فقد أعطاني علبه الدواء من عنده وأصر ألا أشتريها من الخارج لأني لن أجدها بسهولة.

نظرت إلى العلبة ...علبة زجاجية صغيرة بها بعض الأقراص... لكنها بدون اسم فقد نزع الاسم التجاري من عليها...لا بأس هو طبيب وأدرى بما في هذه العلبة.

فتحت العلبة بهدوء ثم تناولت قرصًا وأخذته ثم أخذت نفسًا عميقاً، حسنًا سأقرأ كتابًا حتى يساعدني على الاسترخاء فالنوم.

الطبيب أكد لي أن يجب أن أقرأ قبل النوم ..فإن ذلك سيفيدني كثيرًا ...لا أعرف بم الاستفادة، حسنًا وجدت ذلك الرجل العجوز الشبيه بالشيطان فقط إذا احمرتا عينيه جالسًا يبيع كتبًا يفرشها على الرصيف تحت البناية ...منذ متى وأنا أرى الناس جميعهم شياطين ؟؟ إن قلة النوم سوف تجعلني أهذي قريبًا....

منذ متى يبيع أحدهم الكتب على الرصيف بشارعنا ... كل ذلك غير مهم فلأبتاع كتاباً وأمشي أعطني مجله الفن والسينما من فضلك ..مدّ يده إلى كتاب قديم مهترئ قد فقد جلدته وأعطاني إيّاه أهو لا يسمع كذلك ..قلت بصوت أعلى هذه المرة:

- مجـــلة الفـــن والسينـــما، كأنه أصم لم يحرك ساكنًا فقط يمد يده بالكتاب، حسنًا بكم هذا الكتاب ؟

- فقط خذيه يا ابنتي فقط خذيه إنه لكي ..لكي أنتي فقط.

إذا هو يسمع ..أجن الناس أم أنا التي بدأت التخيلات، مددت يدي بورقة مالية، لكنه لم يأخذها رأيته يرص كتبه إنه حتى لا يسمعني أخذت الكتاب وابتعدت.

ما هذا لا أدري فقط عندما أستيقظ سوف أذهب إليه ولسوف أخبره أني لا آخذ شيئا دون أن أدفع مقابلة....فقط عندما أستيقظ.....

***

كتاب بلا عنوان

الفصل الأول

النوم هي تلك الساعات التي نلجأ إليها في نهاية كل يوم كي ننعم بشيء من الراحة، لكنه قد يتحول إلى لعنة أبدية تطاردنا هناك في آخر الليل حيث تجئ ساعة الذئب وحيث يكون الخوف المبهم اسم اللعبة يجئ إلينا «الجاثوم» القادم من أرض الكوابيس السوداء. و»الجاثوم» حسب الأسطورة هو روح شريرة يُفترض أنها تنام فوق الأشخاص في أثناء نومهم ونثير الرعب فيهم فتأتي على شكل كوابيس، وأيضاً يوصف «الجاثوم» على أنه وحش مريع يجثم فوق صدور الناس ويخنقهم حتى الموت، لكن يُعتبر حارساً شخصياً أميناً وغير مرتش لمن يملكه، يرجع أصل الأسطورة إلى القصة التالية:

«كان أحد كهنة أمنحتب الفرعوني يملك سر ذلك «الجاثوم» إلى أن ملكه ساحر نكرومانسي كي يستفيد منه بطريقة شريرة، مات النكرومانسي وترك ولده يتيمًا لا يعلم شيئًا عن السر وظلّ الجاثوم أسيرًا مربوطًا مصيره بحفيد النكرومانسي الذي لا يعلم عن أصله شيئًا».

***

تثاءبت النوم آت أشعر بذلك، لكني أريد تكملة القراءة.

صفاته الخارجية:

له جسم عملاق شكله يبدو كالقرد الضخم، له وجه أسود بشع، دائمًا ما يتعلق بالأسقف كي ينقض على فريسته، شكله بالمجمل العام كتلة سوداء ضخمة لها أطراف ووجه شيطاني بشع جدًا .

***

حقيقته :

هل شعرت يومًا وأنت نائم بعدم قدرتك على الحركة ؟ أو أصبت بهلوسات مخيفة، شعرت فيها بأنك مستيقظ ولكنك لا تستطيع الحراك؟!. إ

الكتاب ملقي بجانبي ولكني ..لكني لا أستطيع التحرك أشعر بالشلل ..أنا مستيقظة وبكامل وعيي لكني .. لكني ..أنا خائفة .. ماذا يحدث لي؟؟

***

أرى الغول قادمًا نحوي أجري منه مسرعة أتعثر أقوم أتعثر أواصل أجري يصطدم وجهي بالأشجار أقوم أقع أقوم أواصل الجري ألهث أركض ثم شهيق عميق.

***

جُثث خرجت من قبورها لترعب الناس، ومازلت أجري في في أماكن مهجورة!!.. أرى بعض القبائل يقومون بحرق موتاهم خوفاً من تحولهم إلى زومبي وأنا أجري وأجري وأجري ثم شهيق عميق.

***

أرى لافتة كتب عليها مدينة « مدينة سيغيوشوارا» ما هذه المدينة أريد الاستيقاظ حقاً أراه وأرى قلعته جيدًا أتذكر الآن رواية برام ستوكر، والتي قرأتها منذ أعوام وكنت قد نسيتها بالكامل أو هذا ما ظننته التي كتب فيها عن دراكولا، وكيف كان مغرمًا بقتل الفقراء

والأبرياء، وقد قتل أربعين ألفًا من البشر آنذاك.

أهلاً بكي صغيرتي في قلعة الكونت دراكولا .....لاااااااااااااااا شهيق عميق.

***

أنا في اسكتلندا أرتدي ملابس الغوص، لا أعلم ما سأراه تذكرت الآن فقط ما قرأته منذ أعوام وكنت أظنني قد نسيته، وحش البحيرة : لوخ نس.

كانت الشائعات والأقاويل عن وجود حيوانات ضخمة تعيش في البحيرة قد وُجدت منذ قرون، وبعض المؤمنين بوجود وحش البحيرة يعتقدون أن المشاهدات وفّرت أدلة ظرفية في صحة وجود نيسي. يشكك قسم من المهتمين بالموضوع بصحة المشاهدات ويبينون أن المشاهدات لم تكن معروفة في قديم الزمان وأنها اشتهرت في مطلع الستينيات من القرن العشرين مع ظهور الاهتمام الواسع لأسطورة نيسي، ومثال ذلك الرؤية المزعومة في من قبل الدكتور ماكينزي الذي وصف رؤية «شيء يتحرك ببطء ثم أصبح يتحرك بشكل أسرع

لكنها ليست خرافة أني أراه الآن بوضوح إنه يتقدم نحوي ...إنه.. إنه...لاااااااااااااااااااااا

شهيق عميق.

***

استيقظت من الكابوس المريع الذي انتابني، أشعر بالدوار وبنقص في الأكسجين، تدخل أمي الغرفة على صوت صراخي .. أسمعها تقول:

- بسم الله الرحمن الرحيم ..ما بكي صغيرتي ..أصبحتي تنامين كثيراً هذه الأيام ..قلت لكي كثرة النوم مضره وليست مفيدة لكي.. قومي هيا وغيري ملابسك سيزورنا ضيوف اليوم.

- من يا أماه ؟؟ إنه عريس صغيرتي نعم قد كبرتي يا حلوتي

- من هو ؟؟

- لا أدري أباكي قد قال أن اسمه ...اسمه ...سأتذكر..نعم ..نعم تذكرت

يوسف راغب... د. يوسف راغب

شهيق عميق.....

تمت

***

الباب التاسع

دعوة صامتة

استلمت الظرف الصغير الذي يحمل الدعوة ووضعته بحقيبتها وذهبت مسرعة لا تلوي على شئ إلا الفرار، وكأنها تسابق الزمن ...تعالت صوت خطواتها وهي تعدو مسرعة، إنها تخشاهم لا تريد شيئًا إلا الهروب سوى الفرار والبعد عنهم، ها هي يدق صوت حذائها الأرض وهي تعدو تطوي الأرض طيًا لتبتعد ..التوت قدمها واشتد الألم بها، ولكنها واصلت السير ...تهطل الأمطار وتشتد بريق السماء، ولكنها مستمره في جريها المحموم ...

تتساقط الدموع من عينيها، ولكنها لا تفرق بينها وبين مياه الأمطار .

تقف لتلتقط أنفاسها لتواجهها لافتة كتبت على صندوق كهربائي «خطر الموت» فتجري مرة أخرى ...الأرض أصبحت زلقة جدًا والأمطار في ازدياد ودقات قلبها تتسارع ولكنها تجري .... توقفت والتفتت حولها فوجدت أن الشارع قد أصبح خال من المارة ففتحت حقيبتها بحذر وأخرجت الظرف الصغير وفتحته بيد مرتعشة فوقع منها على الأرض فانحنت لتلتقطه وقد ابتل بالمياه وقفت ودققت النظر بالورقه الصغيرة التي أخرجتها من المظرف لتجدها خالية من أي شئ.

ورقه بيضاء ودعوة صامتة ...

فرغت من امتصاص دماء ضحيتها بإحدى الضواحي الخالية تمامًا من المارة رأته يتلوى على الأرض ألمًا يرتجف أنه سيموت إن تركته... فكرت قليلاً ثم أخرجت مظروفاً صغيرًا من جيب معطفها وألقته بجواره، وهنا فقط توقف ألم الشاب وأخذ المظروف ووضعه بأيدٍ مرتجفة في جيب سرواله، ونظر إليها وجرى كالمحموم وعينيه تملؤها الدموع ويسب حظه العثر الذي جعله يمشي من هذا الشارع عائدًا إلى منزله في ذلك الوقت .

نظرت إليه وهو يجري مذعورًا ،ها قد زدنا مصاص دماء آخر، يومًا ما سيلتقون بعدما يتأقلم مع عالمه الجديد وسيتعرف عليها حينها، وقتها لا تدري أسيكون حانقًا عليها بعدما حرمته من إنسانيته وحوّلته إلى وحش يمتص الدماء بالشوارع والأزقة المظلمة ليلاً ويحتمي من أشعة الشمس نهارًا، أم سيكون سعيدًا لأنها على الأقل لم تتركه ليموت بعدما امتصت دماءه وأعطته «دعوة صامتة» ليكون مننا .

***

الباب العاشر

جلسات كهربائية

جلست أصغي إلى الطبيب بنصف وعي فقد كنت مرهقاً .. شارد الذهن ..متعب

قال الطبيب:

- تقوم الجلسات الكهربية بهذا التأثير لا نعلم لحد الآن على وجه الدقة كيف يشفى المرضى النفسيين بهذه السرعة، ولكن هذا ما يحدث بالفعل وكأن لها مفعول السحر.

قلت بتردد :

- جلسات ماذا ..لا لا أستطيع ..أعطني فقط بعض العقاقير..أنا فقط أريد الهدوء ..السكينة فقط لا تخف ..ثق بي ..وقع بالموافقة ..أتعلم غالبًا ما يتردد ذوو المرضى قبل التوقيع بالموافقة على إعطاء الجلسات الكهربية مأخوذين بالصورة المبهرة والمخيفة للعلاج التي يرونها في الأفلام.

لكن يا دكتور، أنا ..

قاطعني قائلاً :

- لا يوجد عقاقير ..الكهرباء أسرع الطرق العلاجية بالنسبة لك. هناك عدة نظريات لن أغوص في عمقها فمن العلماء من يقول: أنها تقوم بمسح الذكريات السيئة المختزنة لدى المريض، وبعض الباحثين

يقول: إن تمرير التيار الكهربي يؤدي إلى تغيرات كبيرة في الهرمونات والنواقل العصبية والدورة الدموية وعملية الأكسدة، وكيفية تعاطي خلايا المخ للجلوكوز أثناء فترة العلاج.....فقط ثق بي .....

مد يدًا واثقة إليَّ بالإقرار وبيد مرتجفة وقعت....

***

قام الطبيب بتثبيت الأقطاب الكهربائية على جانبي رأسه، والتأكد من عدم ملامستة لأي جزء موصل للكهرباء في السرير والتمريض، وقام طبيب التخدير بتخديره وبعد فصل الأكسجين قام بتمرير التيار لمدة ٥ إلى ٣ ثواني فقط وغالبًا تقطع الآلة الكهربية التيار أوتوماتيكيا حسب ضبطه المسبق لها، لكن الآلة لم تتوقف وسط دهشة الأطباء ومحاولتهم فصل الآلة ..وسط هرج ومرج بين كل العاملين لم يلحظ أحد الابتسامة التي ظهرت على وجه المريض... لم يلحظها أحد .

***

الباب الحادي عشر

بائع الأحلام

نسمة بديع صحفية ناشئة تهوى الصحافة والمراسلة منذ نعومة أظافرها، كان العمل بالجريدة مرهقًا طوال الأسبوع وأخيرًا إنها الأجازة الأسبوعية، أين ستذهب تريد أن تنام ملئ جفونها، ولكن روح الصحفية الدؤوب أبت ذلك ..اتصلت بصديقتها لترى إن كان باستطاعتها النزول معها، ولكنها وجدت أنها مشغولة.

كانت أمها تناديها من أجل طعام الإفطار وهي تتصفح الجريدة لترى الأفلام المتاحة بالسينما اليوم.

حملت الجريدة إلى طاولة الطعام حيث جلست أمها بدأت بتناول الطعام، لكن استوقفها الإعلان الشاغر مساحة لا بأس بها من الجريدة « CIRCUS» «السيرك المتنقل «• • موسيقى الرقص والأوبرا ومسرح الباليه •• مهارات السيرك ماجيك... العرائس المتكلمة، المسرح والدراما الكوميديا التراجيدية • • • الرومانسية • الشعر الغنائي، المهرجين والألعاب البهلوانية، والحيوانات المدربة والموسيقيين، السير على الحبل، والمشعوذين، وغيرها من الفنانين تحت قماش الخيام البلاستيكية .

السيرك سيقام لمدة أسبوع فقط ابتداءً من اليوم الجمعة حتى الخميس القادم ...احرصوا ألا يفوتكم العرض ...ستسرنا زيارتكم ... مواعيد الزيارة : من العاشرة صباحًا حتى العاشرة مساءً

لن يفوتني بالتأكيد.

ارتديت ملابسي ونزلت أوقفت تاكسي متجهًا إلى السيرك بداخلي فرح طفولي مازال موجودًا كالطفل حين يرى مكانًا جديدًا للمرة الأولى.

السيرك:

مجموعة من الخيام الملوّنة المبهجة، العاملين بكل مكان، كل خيمة كتب عليها اختصاصها

التذكارات، الرسام، الساحر، عروض للأطفال، المهرج، مروض الأسود، اعرف حظك.

أخذت أتجول بين الخيام مبهورة الأنفاس، هناك خيمة بعيدة نسبيًّا عن الخيام اقتربت منها أحاول أن أدقق في اللافتة «بائع الأحلام»

كتبت بخط صغير لا يكاد يرى، ما معنى هذا الكلام ماذا يبيع بائع الأحلام؟! تحسست خطواتي في حذر ودخلت، رأيته شابًا وسيمًا، فارع الطول، لكن أكثر ماجذبني تلك العيون الحادة بالنظرات الثاقبة القابعة وراء عوينات طبية أنيقة، قال لي بصوت رخيم:

- كيف حالك يا نسمة ؟

- نعم، أتعرف اسمي..هل أصبحت صحفية بهذه الشهرة حدّثت نفسي بذلك.

قال بذات الصوت الرخيم:

- أهلاً بك في خيمتي المتواضعة ..أهلا بك في عالم الأحلام.

قلت له:

- وماذا تبيع.

قال لي:

- ما تتمنيه.

أغمضت عيني، وشردت أتمنى الحب حقا فالحياة العملية أخذتني كثيرًا من الحياة العاطفية،

أفقت من شرودي لأراه يمد لي يده بمظروف وردي:

- لك ما تمنيتيه !!

- نعم لكني لم أقل لك بعد ما تمنيته!

- بلى لقد فعلتي.

وأدار لي ظهره بمعنى أن المقابلة قد انتهت، خرجت لا أفهم شيئا من ذلك الشاب، وكل ما كنت أفكر به هي نظراته الثاقبة

تجولت في بقية السيرك ورأيت العديد من العروض والألعاب الطفولية التي تسعدني جداً، وقمت بالانصراف بعد يوم حافل وفتحت الحقيبه لأقوم بتنقيد سائق عربة الأجرة لأجد المظروف الوردي الذي أعطاه لي الوسيم.

قمت بفتحه في حجرتي لأجد ورقة بالداخل كتب عليها بخط أنيق الحبّ!!

حدثت العديد من الأحداث في الأيام التاليه أهمها أن في اليوم التالي جريدتي التي أعمل بها احترقت بفعل فاعل، لكن لا أحد يعرف من الفاعل ولماذا؟

بائع الأحلام يأتيني يومياً في منامي ليخبرني أنه هو، وأنه لن يسمح لي بالعمل في أي مكان فهو شديد الغيرة.

وأنني أصبحت ملكه للأبد، أيعقل أن أحلم كل يوم بنفس الحلم؟!

أخبرتني غادة صديقتي بجريدة الأستاذ ماهر وحاجته إلى محررين جدد، ولكن الجريدة مازالت تحت الإنشاء فعليها أن تتقبل الراتب القليل الذي ستحصل عليه إلى أن يتم إعاده ترميم جريدتهم المحترقة .

وافقت على الفور فأنا لم أعتاد على الحياة بدون عمل، أعددت ملابس أنيقة للذهاب لمقابلة أستاذ ماهر بالجريدة صباحًا، وقمت بكيها ووضعتها على الأريكة ونمت استعدادًا ليوم ملئ بالنشاط غدًا في عملي الجديد .

قمت مبكره في السابعة صباحًا وأسرعت لارتداء ملابسي وكانت المفاجآة .مظروفا ورديًّا أنيقًا وضعه أحدهم فوق ملابسي الموضعة على الأريكة .

أحدهم كان بغرفتي وأنا نائمة ووضع ذلك المظروف، كنت أعلم يقيناً أين رأيت هذا المظروف المقيت من قبل .

مددت يد مرتعشة إلى المظروف لأفتحه ولدهشتي وجدت مبلغًا ماليًا ضخمًا ومعه رسالة كتب عليها «لا تذهبي للعمل الجديد... أوامري تنفذ».

هرعت مسرعة أفتح باب غرفتي الذي كنت معتادة أن أوصده من الداخل كعادتي وصرخت منادية أمي:

- «أمي، من دخل غرفتي ووضع ذلك المظروف لي؟»

- ردت أمي وعلى وجهها أمارات عدم الفهم ...لا أحد، إخوتك نائمين ... كما أنك توصدين باب غرفتك ... كيف لأحد أن يدخل وأنتي نائمة؟!

كنت أعلم يقينًا أن الأمر غير ماديًا ...غير ملموس، لكني تمنيت أن تقول لي أمي أن أحدًا منهم هو الفاعل، كنت أرتجف ...أرتجف ثم ظلام ..

***

أفاقت نسمة فوجدت أنها بغرفة في مشفى على سرير طبي معقم، وحولها العديد من الأطباء...هرعت أمها إليها قائلة:

- حمدًا لله على سلامتك يا بنيتي

تمتمت نسمة بصوت مبحوح:

- ماذا حدث؟

رد الطبيب وهو يهم بتركيب المحاليل الطبية إلى وريدها :

- لا شئ، هبوط طفيف بالدورة الدموية أدى إلى إغماء .

نظرت نسمة إليه بعينان مشوشتان ...ذلك الشعر الأسود الفاحم...العينان الحادتان خلف العوينات...أين رأته من قبل ...لا تتذكر، قال لها:

- ستكونين بخير ...فقط احرصي على عدم إجهاد نفسك مرة أخرى واحرصي على تناول الوجبات بانتظام ...ثم ابتسم ونظر إلى عينيها مباشرة قائلاً:

- أوامري تنفذ ...ثم ابتعد عن دائرة نظرها وراحت هي في نوم عميق ملئ بالهلاوس والأحلام.

جاء في أحلامها شعره داكن هو ...حاد النظرات ...يرتدي العوينات ...قال لها إنها ستكون بخير طالما ستطيع أوامره سيحقق لها أحلامها ...فقط عليها الطاعة وإلا ...وإلا لا تندم عما سيحدث لها .

- ماذا سيحدث ؟؟؟؟؟

ضحك ضحكة مرحة، ولكنها شيطانية ثم غرق في ظلام أحلامها .صرخت نسمة، ثم استيقظت وقد غمرها العرق البارد، نظرت في ظلام الغرفة ثم نامت مرة أخرى.

***

قررت نسمة أن تذهب إلى جريدة الأستاذ ماهر ...نعم ستذهب وستقابله لن يمنعها أحد

لن يمنعها بائع الأحلام ذلك ...لا تعلم ماذا يملك من قدرات، لكنه لن يمنعها عن عملها وحياتها .

ارتدت نسمة ملابسها وأوقفت سيارة أجرة وقرّرت أن تقوم بمشوار بسيط قبل أن تذهب إلى جريدة أستاذ ماهر ...سوف تذهب إلى السيرك وبالتحديد إلى خيمة بائع الأحلام سوف تفهم منه ماذا يحدث لها، وكيف وصل ذلك المظروف الوردي إلى غرفتها وهي موصدة وسوف تعطيه أمواله.

وقفت السيارة أمام السيرك فنقدت السائق نقوده وعبرت إلى السيرك، وذهبت إلى خيمة بائع الأحلام ...موصدة هي ...سألت عدد من العاملين بالسيرك متى يأتي بائع الأحلام، ولكن الإجابة كانت واحدة لا أحد يعرف...

خرجت من بوابة السيرك وأوقفت سيارة أجرة إلى جريدة الأستاذ ماهر ...نظرت نسمة للبناية التي تقع بها الجريدة وجدت بوابًا نوبيًا يجلس على أريكة خشبية فسألته:

- عن الطابق التي تقع به جريدة أستاذ ماهر.

قال لها:

- أستاذ ماهر لم يأت اليوم.

- ومتى سيأتي ؟

- لا أعرف، علمت أنه أصيب بحادث من قليل وتم نقله للمشفى.

***

«لا أريد أن أذهب لأي مكان» قالتها نسمة محدثه صديقتها عبر الهاتف

«نسمة ماذا حلَّ بكي ...سنتجمع بالنادي كلنا وأريدك أن تكوني معنا «

«حسناً...سأحضر»

«إلى اللقاء «

***

نسمة أترين من جاء حين علم أنك قادمة «

- «من؟»

- «إنه رامي أتتذكرينه؟؟؟ رامي الذي هام بك في الجامعة عشقًا «

ضحكت نسمة ثم قالت :

- «رامي !!طالب إعلام الخجول ...نعم تذكرته «

«إنه يعمل بجريدة كبرى يمتلكها والده ... كما أنك تعلمين إعجابه بك منذ أن كنا طلبة «

قالت نسمة:

- فلتصمتي إذ أنه قادم نحونا

قام رامي بتحية الصديقات ثم جلس مباشرة أمام نسمة ...مازال خجول كعهدها به، لكنه صار وسيمًا أو هو وسيمًا أصلاً وهي لم تدرك ذلك في السابق .

أخذ يحدثها عن الجريدة والعمل والارتباط .

قالت له نسمة:

- «أنا لم أرتبط بعد».

فجأة صرخ رامي صرخة مدوية، جاء على إثرها كل أعضاء النادي ...لا أحد يعلم ما حلَّ به لقد وقع من على كرسيه، وأخذ يتلوى ألمًا على الأرض.

نظرت نسمة إلى الموقف بذهول، كانت صديقاتها حول رامي الملقي أرضًا وجميع الناس ملتفين حوله، وكان هناك رجلاً يقف من بعيد لا يبالي بالموقف ولا برامي الملقى على الأرض يتلوى، وكأنه أصيب بعقاب إغريقي قديم .

كان ينظر نحو نسمة مباشرة ينظر في عينيها، طويل القامة هو، شعره حالك السواد ويمتلك عينان حادتان خلف منظار طبي أنيق

هرعت نسمة نحو بوابة النادي مغادرة وهي ترتجف بقوة تاركة وراءها كل ما يحدث.

***

ارتمت نسمة على الفراش وأخذت في البكاء إنها ترتجف بقوة لا تعلم ماذا يحدث لها من هو ...ماذا يريد؟!

ثم تذكرت تعيس الحظ رامي ففتحت حقيبتها لتأخذ هاتفها الخلوي ولكن ...ما هذا ؟؟؟ وردة وردية اللون بحقيبتها.

من أين جاءت ...أخذت تنظر لها وأخذت تجفف دموعها، ثم ما لبثت أن ابتسمت وهي تنظر للوردة ...ثم اندهشت من نفسها أجنت لم تبتسم ...إنها لم تعد تفكر كيف وصلت الوردة لحقيبتها ولا متى ولا أين.

هي فقط متأكدة إنه هو مرسلها ...نعم هو...بائع الأحلام، دهشت من نفسها ...هل أحبته، شعور غريب تشعر به منذ رأته أول مرة بخيمته البلاستيكية بالسيرك إنه التوتر والرجفة والخوف والإعجاب .. نعم الإعجاب هذا ما كانت تحاول إنكاره إنها تحبه.

إنه مصدر الخوف والأمان في ذات الوقت.

من هو ؟ أين هو؟ لا تعلم.

نظرت إلى الهاتف فتذكرت رامي اتصلت بصديقتها لتعلم ماذا حدث، قالت لها الأخيرة: - إنه بمجرد أن رحلت قام مرة أخرى وزال عنه الألم، وكأنه لم يكن، حتى هو اندهش ماذا أصابه.

وأخذت تتحدث في أمور أخرى، لكن نسمة لم تعد تصغي لشئ فقد ذهبت بتفكيرها في عالم آخر به شخص شعره حالك السواد طويل القامة حاد النظرات يرتدي العوينات.

***

اليوم الحفل الخيري التي تقيمه الجمعية العمومية لحقوق الصحافة، جهزت نسمة فستانًا أنيقاً، ولكنها كانت مترددة في الذهاب، كانت بانتظار رسالة وردية أنيقة بها أمر بعدم الذهاب، ولكن الرسالة لم تأت، ارتدت ثوبها بتوتر ثم ذهبت إلى الحفل، كانت أنيقة متميزة في الحفل، وكان الحفل راق وجميل تكلمت مع العديد من الشخصيات الصحفية المرموقة، ولكنها كانت تنتظر شخصًا واحدًا، تنتظر من يراقبها دائمًا لحمايتها، تنتظر من أصبح شغلها الشاغل، تنتظر بائع الأحلام.

أخذت تنظر بين الناس لتفتش عنه:

- « احم ...أتسمحين لي بالجلوس معك قليلا»

التفتت ورائها مسرعة لترى شخصًا أنيقا طويل القامة، داكن الشعر يمتلك عينان حادتان يرتدي العوينات الطبية، ويرتدي بذلة سوداء أنيقة ورابطة عنق وردية بلون زيها التي ترتديه...لم ينتظر ردها بس جلس ونظر نحو عينيها مباشرة:

- أكرم سعيد أو كما يسمونني: بائع الأحلام. أحلامك أوامر عزيزتي ...ماذا تريدين؟

لم تكن خائفة هذه المرة، لم تكن متوترة أو مرتجفة وكانت تعلم يقيناً ما تريده

أريدك ألا تتركني، أريد أن أراك دائمًا، ارتسمت ابتسامة حزينة على وجهه هذه المرة وقال لها :

- «هذا الحلم لن يستطيع تحقيقه بائع الأحلام...فأنا جزء من الأحلام ...أمَّا أنتي الواقع التي لطالما تمنيته...أنتي حلمي الذي لا أستطيع تحقيقه «، ثم انتفض واقفا وبدأ بالابتعاد وسط الجموع المزدحمة من الناس، صرخت منادية عليه «أكرم»، لكنه اختفى وسط الزحام.

قامت تفتش عنه هنا وهناك ولكنها لم تجده، أخذت تجري هنا وهناك بجنون أكرم أين أنت ؟

وهنا وجدت من يهزها من كتفها فصاحت «أكرم»، لكنها وجدتها أمها ...وجدت نفسها على فراشها وجوارها الجريدة مفتوحة على صفحة بها إعلان « CIRCUS»

«السيرك المتنقل»

موسيقى الرقص والأوبرا ومسرح الباليه، مهارات السيرك ماجيك... العرائس المتكلمة، المسرح والدراما الكوميديا التراجيدية الرومانسية، الشعر الغنائي، المهرجين والألعاب البهلوانية، والحيوانات المدربة والموسيقيين، السير على الحبل، والمشعوذون، وغيرهم من الفنانين تحت قماش الخيام البلاستيكية .

السيرك سيقام لمدة أسبوع فقط ابتداءً من اليوم الجمعة حتى الخميس القادم .

احرصوا ألا يفوتكم العرض ...ستسرنا زيارتكم .

مواعيد الزيارة : من العاشرة صباحًا حتى العاشرة مساءً .

قالت لها أمها:

- لقد استغرقتي في النوم مرة أخرى وأنتي تقرأين الجريدة ... الساعة العاشرة ألن تخرجي مع أصدقائك للمول التجاري كعادتكنَّ كل عطلة أسبوعية ...

قالت لها نسمة :

- عطلة ؟؟؟ هل الجريدة لم تحترق الم اذهب إلى السيرك ؟؟؟هل كنت أحلم كل هذا ثم انتفضت واقفة وهي تنظر إلى الإعلان التي نامت أثناء قراءته في الجريدة وتمتمت : بائع الأحلام «.

ارتدت ملابسها مسرعة ونزلت وأوقفت سيارة أجرة لتقلها إلى السيرك، ذهبت إلى السيرك الذي اختلف تمامًا عما رأته بحلمها، دخلت مسرعة لترى العاملين هنا وهناك، ذهبت إلى بعض الخيام وأخذت تنظر إلى اللافتات المكتوبة عليها:

التذكارات، الرسام، الساحر، عروض للأطفال، إلخ.

لكنها لم تجد اللافتة التي تبحث عنها، رحلت بخيبة أمل وأدركت أن من أحبته كان حلمًا ليس إلا

لا يوجد بائع للأحلام بالواقع.

ومن أحد الخيام المغلقة ظهر من كان يراقبها وهي تبتعد حتى وصلت إلى بوابة السيرك،

كان طويل القامة أسود الشعر حاد النظرات يرتدي العوينات الطبية، وبعد أن رحلت عن نظره قام بتعليق اللافتة على خيمته «بائع الأحلام» .

تمت

***

الباب الثاني عشر

سهرة مع الأصدقاء

استيقظت مبكرًا رغم الإرهاق الذي يدب في أوصالي من سهرة الأمس، جلست على المائدة مع أمي وأخوتي، أشعر بالجوع الشديد، فرغت من طبق الجبن ولازلت جائعًا.

ساد الصمت أثناء تناول الإفطار بيننا، ترمقني أمي بنظرات نارية لتأخري ليلة أمس، كنت قد قضيت السهرة في بيت أحد الأصدقاء، كان قد انتقل به مؤخرًا رغم أن المستأجرين كانوا غاية في الوقاحة وغير ودودي المعشر...لكن حقاً البيت الجديد كان يستحق المعاناة وتحمل فظاظته.

البيت كان رائعًا وجميلًا، والطعام كان أكثر من رائع، ضحكنا لهونا لعبنا، رقصنا أكلنا كانت ليلة ممتعة، لولا تلك القطة الشيرازي المشمشية اللون التي كانت تعكر عليَّا سعادتي، نعم أنا أعاني من فوبيا القطط، إنه أمر لا أحب ذكره لأني كبير وناضج، لكنها الحقيقة وأعترف بها لكم، لكَم كانت ترعبني كتلة الفرو المشمشية تلك وهي تتجول بالمنزل ...أصدقائي كانوا يلهون غير منتبهين لخوفي ذلك ..لم أرد أن أخبرهم بمخاوفي، فقط ستزداد ضحكاتهم وسخريتهم مني، حسنًا لأرمي خوفي وراء ظهري لن أنظر لكتلة الفرو تلك، سأتجنبها، سأتحاشاها كأنها الشيطان ذاته .

عنفتني أمي بشدة، قالت لي أني ممنوع من السهر بعد ذلك، وقالت كلماتها المعتادة، البشر لم يعودوا وديدين كما السابق، وأنّ الدنيا ليس بها أمان.

أمي ترى البشر دائمًا كائنات تمشي بالبنادق والرشاشات والأعيرة النارية وأنني البائس الوحيد الذي سيصيبني وابل الطلقات والأعيرة تلك.

قالت لي إيَّاك أن تخرج من البيت، تعاملني كما الأطفال لقد سئمت من كل هذا لم أعد صغيرًا أنا صرت كبيرًا، لم أعد أخاف من الظلام، لم أعد أخاف من البشر، لم أعد أخاف أماه، لم أعد أخشى شيئا .

كانت تستعد للخروج هي وإخواتي فجأة سمعنا « نيوووووووووو» ارتجفت، إنها قطة،

ارتجفنا جميعًا، فقالت أمي لأختي

- أدخلي ذيلك سريعًا ستراكِ القطة، ألم أقل لك أن الدنيا لم تعد أمان!!!!

إيَّاك وأن تخرج من ذلك الجحر حتى أرجع، نسيت أن أعرفكم بنفسي، أنا مجرد فأر!!!!!

***

الباب الثالث عشر

إنسان فقد هويته

المقابر ليلاً تبدو كمدن مسربلة بالسواد ... تخشاها خشيه الموت نفسه، لكنه كان لا يخشاها، نعم ولم يخشاها وهو لم يخشَ شيئاً في حياته .

السيارة، كان يقود ليلاً وأنا بجانبه، لم أستطع أن أصرح له أنني أخشاه أكثر من تلك المقابر ذاتها.

الإنسان إذا تجرد عن إنسانيته يصبح مخيفًا .. ماذا لو رأيت إنسانًا لا تصيبه الكدمات إذا تعرض للوقوع لا يُدمى إذا جرح ..لا يبكي عند الذعر لا يبتسم، إذا أنت تفهمني الآن يصبح الإنسان كائنًا غريبًا إذا تخلى عما يجعله إنساناً، وكان هذا هو إنسان فقد هويته.

صوت المذياع في السيارة ..تترقرق نغمات دافئة لليلى مراد:

«ماليش أمل في الدنيا دي

غير أني أشوفك متهنّي

حتى إن لقيت أن بعدي

راح يسعدك أبعد عني»

وقتها ماذا حدث إنه الارتطام بشئ صلب جعل رأسي يصطدم بسقف السيارة ..نظرت إليه لا شئ لا تعبير، ولا انفعال، ولا ملامح إذا صح التعبير.

أخيرًا استطعت أن أستخدم أحبالي الصوتيه لأسأله:

- ماذا هنالك؟

بدون أن ينظر لي وبصوت بارد قال:

- لا شئ فقط نامي.

كيف لي أن أنام!

السياره تقطع الطرقات، ولكن الظلام يحول دون رؤيتي لمعالم أي شئ، فقط أميز أنني لست على مايرام، وصوت ليلى مراد مازال يتردد عبر موجات الإذاعة:

عندي من الأيام أيام دايمًا حاصور بالي

وعندي من أحلام أحلام حافضل أعيشها في خيالي

واللي انت شايفه في عينيا صورة هواك .

وكمال طيفك علشان لو الشوق فاض بيا .

هندم عليك وأقدر أشوفك .

اخترق صمتنا الطويل وموجات الإذاعة صوته الآلي الخالي من أي تعبير..هل تحبين المقابر، كنا بالفعل الآن وسط مكان مقفر استطعت أن أميز شواهد القبور المسربلة بالظلام الشديد إلا من

إضاءة للقمر المكتمل لتزيد المكان خيالا ورهبة ..لم ينتظر مني إجابه أوقف السيارة وترجل منها لم أسأله إلى أين هو ذاهب ..أراه يمشي بعيدًا وسط شواهد القبور يرتمي ظله طويلا مخيفًا رهيبًا ..إني أرتجف أعلم هذا، ومازال المذياع يردد:

أحلفك بعذابي اللى انت عايش فيه متهني

وأحلفك بشبابي اللى لا نابك يوم ولا نابنى

إن جيت في يوم ومحبتنيش

أكدب عليّا ولا تقوليش.

تبًا لها من ليلة أين ذهب هذا، لا أعلم هل أخشاه أم أخشى هذا المكان المقفر الذي أوقفني به؟ أين ذهب تبًا له طالما أذهلني بطباعه الغريبة، وبالرغم من أني أخشاه إلا أني ظللت منتظرة قدومه، شعور غريب يجمع ما بين الخوف من الشئ والاطمئنان به، ويردد المذياع:

خليني أحبك .. وافضل أحبك

من غير ما أعرف إيه سر قلبك

خليني خليني خليني أحبك.

أصبحت قلقه حائرة أين هو .. نعم سأترجل من السيارة لأبحث عنه ليتني كنت ذهبت معه أو سألته إلى أين هو ذاهب ..هممت

بفتح باب السيارة، لكني توقفت فجأه، رأيته قادم ..تنفست الصعداء ...أراه يتقدم يتقدم يتقد، ماهذا كنت أرى ظله يرتمي على الشواهد وهو ذاهب ولكن الآن لا أرى أي ظل له.

واضح أن الليلة عصيبة والخيال بدأ يسيطر على الواقع، حتى عندما بدأت أميز ملامحه أعلم أنه الخيال ..حتى عندما أدركت أنني أرى تلك العينان الحمراوتان أدركت أنه الخيال، حتى عندما أدركت أني أرى تلك الأنياب أدركت أنه الخيال ليس أكتر، ويكمل المذياع:

أمَّا أنا مهما جرى

حافضل أصون عهد الهوى

وإن غبت يوم ولا سنة

حافضل أنا برضه أنا.

***

الباب الرابع عشر

• إنه، حبيبي، أنا

«إنت ياللى خدت قلبى من الزمان ومن اللى فيه

خدت قلبى لدنيا تانية أحلى من اللى حلمت بيه»

دوَّت الأغنية في القاعة عبر مكبرات الصوت....كنا في حفل زفاف صديقتي ...بل هي ليست صديقتي فحسب، بل هي أقرب صديقة لي.

كنا أصدقاء منذ المرحلة المتوسطة والثانوية حتى الجامعة وتخرجنا سويًّا كانت لنا أحلامًا نسجناها سويًّا ..أحلام عن الدراسة والعمل وشريك الحياة .

كانت فيروز تنسج أحلامها بهذا الصدد ببطل مغواريشبه الأبطال الرومانيين القدامي ضخامة وحجمًا فهي بالنسبة لها الرجولة هي كتلة من العضلات.

أمَّا أنا فأحلم دائمًا به هو دون غيره ...لا لا تسرعوا لا وجود له على أرض الواقع، بل هو في مخيلتي فقط، كنت دائمًا ما أصفه لها أنه نحيف ذا ملامح جميلة لكنها قاسية، عيناه لم أستطع تحديد لونها ولو أني أرجح أنها بُنية أو خضراء، خصلات شعره بُنية مموجة مستقيم الأنف ذا ضحكة عفوية بريئة كالأطفال.

كانت تنعتني بالجنون ..نعم بالجنون، لا يوجد فتاة عاقلة بالدنيا تحدد فتى أحلامها بتلك المواصفات الدقيقة، أين سنجده لكي يا ريهام، سيفوتك القطار عزيزتي .

لا لن يفوتني سأبحث في الكتالوج وسأجده وننفجر ضاحكتين، ألم أقل لكم صديقتي المفضلة

أحلى عمر أنا عيشته جنبك والحنان عندك كتير، هو فى كده زى قلبك لسه فيه في الدنيا خير

تقدم لي العديد لخطبتي لكني كنت أرفضهم ..أرفضهم بشدة وسط غضبات عاتية من أهلي ومن صديقتي فيروز كذلك، لكني أبحث عنه هو وأعلم يقينًا أني سأجده.

كنت دائمًا أثق بأن لا شيء مستحيل أنا له وهو لي ..أين سأجده لا أعلم، أين سأقابله لا أدري، ترى هل لو وجدته سأجده مرتبط بأخرى أم ماذا، انتفضت لذلك الخاطر الذي أتاني لأول مرة.

هنا دخلت صديقتي فيروز غرفتي.. كنت في المنزل أرسم صورة له، لِم أرا كم تضحكون، نعم صورة له ...أعلم أنه شخصًا خياليًا في مخيلتي أنا فقط، ولكنني أحفظ ملامحه عن ظهر قلب، أحبه جدًا وعلى ثقة أنني سأجده وشيء في نفسي يحادثني أني سأراه قريبًا قريبًا جدًا .

ولم أكن أعلم أنني كنت على حق إلى درجة كبيرة .. كبيرة جدًا قمت بتغطية صورته فور دخول فيروز حجرتي، لم أكن أرغب أن ترى ما أرسمه لا ينقصني كلامها عن الجنون الذي أعيشه لدرجة أن أرسم صورته، أعلم ما ستقول لذا قررت ألا أريها لها الآن على الأقل.

قالت لي:

- ماذا ترسمين ؟؟

قلت لها:

- صورة غير مكتملة ..لا عليكي أنهيها وسأجعلك تريها .

قالت لي بعدم اكتراث:

- حسناً ولمحت ابتسامة على وجهها، ولمعة في عينيها إن دلت تدل على الفرح الشديد.

- ماذا بك ثم ما هذه الزيارة المفاجئة أهناك شيء جديد ؟

أومأت برأسها بسعادة أي:

- نعم

ارتسمت علامات الاستفهام على وجهي؟؟!!

فقالت لي إنه قد تقدم لخطبتها شاب ..وقد أحبته بل هامت به حباً من أول نظرة كما يقولون، ارتميت عليها وعانقتها بشدة ونحن نضحك .. كنت سعيدة لسعادتها...ألم أقل لكم صديقتي المفضلة!!!

عمرى ما أنسى قبلك كنت فى إيه ومعاك بقيت أنا إيه

أنا باقى ليك ولحد ما عمرى

ينتهى هفضل يا حبيبى معاك وهعيش وأموت بهواك

أنا ليّا مين غيرك حبيب عمرى.

وهكذا تم كل شيء سريعًا وتحدد موعد الزفاف، استلمت دعوتي وها نحن اليوم وأنا وباقي الصديقات في زفاف فيروز صديقتي المفضلة، كنا نجلس بالقاعة ننتظر قدوم العروسين، كنت أشعر بتوتر لم أعهده من قبل لا أعلم ما مصدره، وكانت الأغنية مازالت تردد في القاعة:

«يا ما عشت أتمنى قبلك ياللى زيك مش كتير»

أرى فيروز تتقدم بالفستان الأبيض وعريسها بجوارها يرتدي حلة سوداء اللون ويمسك بي، ما هذا؟ لحظة، إنه هو، إنه حبيبي الذي انتظرته سنوات طويلة، هو من رسمته بخيالي وعلى الورق، هو، إنه لا يمسك بيدي بل يمسك بيدها، يد صديقتي المفضلة ..

«مش مجاملة عشان بحبك ده إنت ليَّا حاجات كتير.»

أعطتنا العروس ظهرها في نهاية الحفل وتراصت الصديقات خلفها لاقتناص باقة الورد الخاصة بها، كنت أحدق فيه هو، لا أرى غيره وفجأة وجدت باقة الورد بين يدي، يدي أنا كنت أتأملهم في نهاية الحفل وهي مغادرة معه، ولا أصدق ما أراه إنه ليس مفتول العضلات ولا ضخم إنه هو من تمنيته ورسمته بخيالي، نحيف

وجه جميل ملامح قاسية شعر أشقر ممو ج عين خضراء أنف مستقيم ضحكة طفولية تشع براءة.

أشعر بطعم مالح في فمي ...إنها الدموع التي انهمرت من عيناي لا تريد التوقف ...

اقتربت مني إحدى الصديقات فمسحت دموعي بيدي مسرعة فقالت لي

مبتسمة:

- ريهام لم أكن أعلم إنك تحبين فيروز لهذا الحد.

غادرت المكان وأنا أحملق في باقة الورد بيدي، عدت إلى البيت وهرعت إلى غرفتي فتحت خزانتي فأخرجت صورته التي رسمتها إنه هو ...بدون أي اختلاف لقد رأيته بقلبي قبل أن تراهعيناي ويوم أن وجدته ...وجدته مرتبط بصديقتي المفضلة، ابتلت اللوحة بدموعي فأسرعت أمسح وجهي بيدي، ثم أخرجت شالاً أبيض اللون من الخزانة ثبته على شعري وأمسكت باقة الورد بيدي وثبت صورته جانبي ونظرت إلى المرآة ....نعم أنا عروسة وليست هي .... أنا ...و ابتسمت ابتسامة عريضة ...لا أعرف متى ذهبت في نوم عميق.

هيا كام مرة هقابل حد يحب بضمير

حد عاش عمره عشاني قلبه ليّا بيت كبير

كنت أتهرب من لقاءها ..أعلم ذلك ..لم أزرها ولو لمرة واحدة في بيتها الجديد ...اتصلت بي عشرات المرات ...غيرت رقم هاتفي الخلوي ولم أرد عليها على هاتف المنزل ...لا أريد أن أراها ...هي اقتنصت مني حلمي الجميل ...هي أخذت حبيبي إلى أن فاجأتني بزيارة غير متوقعة في العمل، انتزعت ابتسامة انتزاعًا ما لبثت أن اختفت من وجهي، وأنا أقول لها:

- ممم...مرحبًا

نظرت لي في ثبات وقالت :

- لقد اشتقت لك ...ألم تشتاقي لي، ألست أنا صديقتك المفضلة كما تقولين دومًا

قلت لها:

- نعم بالطبع ...تبًا لها إني أحبها حقا، كادت أن تفر الدموع من عيناي، ولكني أمسكتها وذكرت نفسي أنها هي من أفسدت حياتي... هي أخذت من كنت أنتظره.

قالت لي:

- متى ستنهين عملك

قلت لها:

- ها قد انتهى.

قالت:

- إذا سأذهب معك للمنزل لقد اشتقت لطعام والدتك

همهمت بكلمات غير مفهومة

نظرت لي وقالت:

- ماذا؟

قلت لها :

- أقول لكي بالطبع.

عدنا إلى منزلي ..جلسنا في غرفتي وأعدت لنا أمي الغذاء، أكلنا في صمت كسرته فيروز فقالت لي:

- ماذا بك؟

قلت لها:

- لا شيء...احكي لي أنت كيف حالك وكيف حال ...

-وقفت الحروف في حنجرتي- فخرجت متحشرجة غير مفهومة وأنا أتابع كيف حال زوجك؟؟

قالت لي وقد التمعت عيناها كلما فرحت :

- بخير حال نحب بعض حبا شديدًا

قلت لها ولكنه ليس مفتول العضلات ولا غول آدمي كما كنت تتمنين.

قالت لي:

- بلى إنه أشبه بمواصفات فتى أحلامك ولكني أحبه وأخذت تضحك ...شعرت بألم حاد في قلبي كأنما خنجراً حادًا قد اخترقه فشهقت حتى لا أستطيع أخذ أنفاسي، ثم بصعوبة بالغة ابتسمت ولمعت عيناي، ليس من الفرحة، ولكن من دموع محبوسة تريد فك أسرها والفرار على وجهي...

قالت لي وقد رأت اللوحة التي رسمتها موضوعة على مكتبي:

- أهذه رسمتك التي قلتي لي أنك ستريني إيَّاها حين الانتهاء منها وهرعت نحو

المكتب لتأخذها فلم أجد الوقت الكافي لمنعها ...

أخذت فيروز تنظر إلى الرسم ولم تنبث ببنت شفه

قلت لها:

- إنه زوجك...إنه لكي ...نعم رسمتها خصيصًا لكي ... كنت أود أن أزورك بعد أن أنهيها لأهاديكي بها ...لكنك أفسدتي المفاجأة هنا ارتسمت أمارات الارتياح على وجهها، وقالت لي:

- حقا وعانقتني مطولاً ...ثم فجأة قالت لي :

- لكن ماذا عن لوحتك اللي قلتي لي أنك ستريني إياها فور الانتهاء منها؟؟؟

قلت لها :

- لقد مزقتها ...لم تعد صالحة للرسم ...

سمعنا صوت نفير سيارة فقالت لي:

- إنه زوجي جاء ليأخذني وأخذت الرسم معها ...حتى هذا لم تتركه لي ...وهمت بالنزول

وأصرت أن أنزل معها لأسلم عليه .

عارضتها لكنها كانت مصرة كالتنين إذا كان الأخير يصر، لا أعلم صراحة.

نزلت معها بأرجل مرتجفة لا تكاد تحملني ...خرج من السيارة ليصافحنا ...مددت يد مرتعشة لمصافحته، قالت له فيروز ريهام التي طالما كلمتك عنها أعز صديقاتي.

قال لي:

- أتذكرك ...أنتي من حصلتي على باقة الورد في الحفل.

أومأت برأسي ...لم تستطع الحروف أن تخرج من حنجرتي

قالت له فيروز :

- سأريك ماذا رسمت أيضًا

- تبًا لكي ...ليس الآن ...ليس الآن ...قلتها في نفسي وأنا أرتجف

أعطته الصورة فنظر لها وقال:

- إنه هنا وضحك ضحكة تشع جمالاً طالما تخيلتها سنين طويلة قبل أن أراها.

هممت بالصعود إلى منزلي، ولكن فيروز استوقفتني مرة أخرى.

ريهام أعطني رقم هاتفك الخلوي الجديد

حسنا ٣٧٣ .... تباً لقد نفذ شحن بطاريتي ...من فضلك يوسف احفظلي رقمها على هاتفك.

صعدت إلى منزلي لا ألوي على شيء ...جلست محملقة في المرآة، أيوم أن أصافحه أرى محبس الزواج يزين يده ...وانهمرت دموعي مرة أخرى.

كنت قد ذهبت إلى الفراش مبكرة ...أريد أن أنام نومًا عميقًا... أريد أن

أهرب من واقع كاد يحطمني ...

رنين الهاتف ...تبًا من الذي يستكثر عليّا حق الهروب من الواقع، نظرت إلى الهاتف ...رقم غريب.

- ألو ..من معي

- ألو ..ريهام

- نعم إنها أنا ..من أنت

- أنا ..أنا يوسف

في الأيام القليلة التالية تعرفت على يوسف أكثر ...خرجت معه عدة مرات تكلمت معه طويلاً في الهاتف ...أخبرني أنه عندما رآني في حفل الزفاف ندم على ارتباطه بفيروز ...أنا من حلم بها وليس

هي...قال لي إنه كان يتمنى الارتباط بي أنا ...قال لي إنه سيتركها ... قال لي إننا خلقنا لكي نكون سويًّا.

تكلمونني عن الضمير عن الصداقة عن الإخلاص ...أقول لكم هذا هو من أحببته ولن أتنازل عنه حتى وإن كان إلى صديقتي ... صديقتي المفضلة.

عندما أخبرني أنه سوف يطلقها ويأتي للزواج بي شعرت بالخوف، شعرت بالندم ...إنها صديقتي ...ماذا سيكون شعورها ... ماذا ستفعل...أخشى أن تؤذي نفسها.

قال لي:

- أنا مجنون بك ...إذا لم توافقي سأنتحر

قلت له:

- لن أستطيع فيروز إذا حدث هذا ستؤذي نفسها

قال لي وقد التمعت عيناه جنونا:

- إذا ستأتي معي إلى ربوة عالية سألقي بنفسي وأنت من بعدي سنموت سويًا ما رأيك، سنموت سويًا ...وهكذا نترك لفيروز عالمنا للأبد

قلت له وقد راقت لي الفكرة ...راقت لي إلى حد كبير:

- نعم نعم أوافقك لكني أخشى أن تلقي بنفسك فتتأذى فأنا أحبك

قال لي بحنان مطمئناً :

- لا... لا تخشي شيئا ...لن أؤذي نفسي ...فقط سأموت.

قلت له وقد اطمأننت لما قاله:

- حسنًا

قال لي وأنت احترسي وأنت ترمين نفسك حتى لا يصيبك مكروه

قلت له لا تخف يا حبيبي ...سأموت ...سأموت فقط

ابتسم لي ابتسامة عريضة على وعد بلقاءنا الأخير

وقفنا فقط ربوه عالية ...أحبه ...عيناي تلمعان من السعادة ... شعره يتطاير على جبهته ...أرى ملامحه بوضوح ...قال لي حبيبتي لا تتأخري، ورمى نفسه من فوق الربوة، قلت له وراءك يا حبيبي وراءك، و رميت نفسي وأنا أبتسم، ثم ظلام

أنا باقى ليك ولحد ما عمرى

ينتهى هفضل يا حبيبى معاك وهعيش وأموت بهواك

أنا ليَّا مين غيرك حبيب عمرى.

ركضت فيروز ويوسف زوجها من عند الطبيب بفرح بعدما أخبرها بأنها حامل.

قال لها :

- أحبك يا زوجتي العزيزة ولا أرى امرأة سواك بالوجود

قالت له:

- وأنا أحبك ثم قالت له أتعلم ...لا أعلم شيئًا عن ريهام منذ أن أخذتني من عندها آخر مرة.

قال لها أتعلمين ...لا أرتاح لها البته ...أشعر بأنها غير سوية، هذا غير الصورة التي رسمتها لي التي لا تشبهني إطلاقًا

قالت له:

- أعلم لكني لم أستطع إحراجها عندما قالت لي أنها لزوجك.

أيمكنك أن توصلني لها للاطمئنان عليها وحتى أخبرها بخبر الحمل أنها

ستفرح كثيرًا لي

قال لها يوسف:

- حسنا كما تريدين.

***

قالت لها والدة ريهام وهي تبكي بشدة :

- ريهام ماتت يا بنيتي

لم تعد طبيعية منذ فترة ... كنت أسمع أنينها في حجرتها ليلا وحدها وعندما أطرق الباب تتظاهر بالنوم.

قلت إنها ضغوط العمل ...لكن منذ أن زرتيها آخر مرة وحالتها ساءت بقدر كبير ...أصبحت تتكلم في الهاتف بالساعات، وعندما تتركه أذهب لأختلس نظرة مع من كانت تتحدث فأجده فارغ شحن.

وبدون خط أيضًا إنها تتخيل أن هناك من يحادثها، ترتدي أفخر الثياب وتقول لي: إنها ستخرج مع أصدقاء.

قال لي مقرَّبين أنهم رأوها تحادث نفسها في كازينو وكأن هناك من يجلس معها ...

كانت قد فصلت من العمل لاضطراب سلوكها

عرضتها على الطبيب النفسي فقال لي:

- إنها أصيبت بهلاوس بصرية وسمعية وتحادث أشخاص لا وجود لهم على أرض الواقع.

قال لي:

- إن تناول بعض العقاقير وإن لم تستجب لها فإنه سيضطر إلى حجزها في مشفى للطب النفسي، ولكنها غافلتني ولم تأخذ العلاج وصحوت يومًا لم أجدها في حجرتها ولا في أي مكان بالمنزل. إلى أن أخبروني أنهم وجدوا جثتها ملقاة تحت ربوة عالية وانهمرت في بكاء حاد.

ثم قالت لفيروز لقد تركت رسالة على مكتبها في هذا اليوم لكي، لكني لم أفهم ما كانت تعنيه، وأعطتها الرسالة ففتحتها بيد مرتجفة:

عزيزتي فيروز من أجلك سأقوم بما سأقوم به، أعلم أنها خيالات لا وجود لها تسيطر على تفكيري، لكني سأمشي وراء خيالاتي فقط لسعادتك، أنتي يا صديقتي المفضلة!!! ريهام.

ودوَّى صوت المذياع من الشرفة المقابلة:

«وهعيش وأموت بهواك

أنا ليَّا مين غيرك حبيب عمرى».

***

الباب الخامس عشر

فاتنتي

كانت ناصعة البياض، جميلة الملامح، بل فاتنة، صوتها يشعرك بأنك تسمع إحدى معزوفات ريتشارد شتراوس.. كانت فاتنتي ... كنت أراقبها كل يوم، أكاد لا أفكر إلَّا بها، حين أراها مع أخوتها

أراها هي الأجمل دومًا، بل الأروع وإلَّا فلم أحبتها، كان تدرك ذلك الحب ..إنها إحدى مهارات الأنثى ...تلك العين الخبيرة التي تدرك بها أنه هناك من يهيم بها حبًا..

هنا يأتي دورها لتتصنع اللامبالاة وعدم الفهم، لكني لاحظت نظرتها لي وأدركت أني لست وحدي أسير ذلك الغرام، بل إنها قد وقعت بالأسر معي، وصدقوني ما أروعه، أنا أسير حبك فلا تحرريني. أرجوكِ

لكن مع كل ذلك الجمال كان بها عيب وعيب خطير بالنسبة لي ولم لا، إن القمر وإن لم يكن مكتملاً ندرك أنه قمر هي كذلك، وكان عيبها أنها ممتلئة القوام ..تأكل بشهية واسعة وهي وسط صديقاتها أو أخواتها.

أعلم أن الامتلاء يزيدها جمالاً، لكن في نفس الوقت سيزداد عدد من سيطلبها كلهم يريدون البيضاء الممتلئة ...حينها ستتركني أنا وحيدًا دونها، تبًا لكي توقفي عن الطعام قليلا..

حينما رأيت تلك السيارة تقف أمام البيت الذي نسكن فيه لا أعلم لم شعرت بالتوترعندما سمعت تلك السيدة تنظر لهم جميعًا ازداد توتري حينما رأيتها تمد يدها مشيرة إلى فاتنتي بالذات، وتقول لصاحب المحل أريد تلك البيضاء الممتلئة هناك اجفلت، مد الرجل يده داخل القفص وسط صيحات الدجاج المعترضة وأمسك بفاتنتي أخر كلمة سمعتها منها قبل أن يضع السكين على رقبتها أمام ناظري هي «كاك».

***

الباب السادس عشر

فزع الهالوويين

٣٠ أكتوبر ..شهر أكتوبر شهر خريفي رائع يراه البعض كئيبًا، لكني أراه بديعًا رائعًا، تتجرد فيه الطبيعة من زينتها، فتتخلى أوراق الأشجار عنها وتذبل المزروعات وتهب الرياح كأنها مياه تغسل وجه الطبيعة من زينتها، فتراها بوجه برئ صافي بالنسبة لي يتسبب لي هذا الشهر بصفاء عقلي وروحي غريب قلما أشعر به في باقي فصول السنة.

نظرت إلى النتيجة اليوم أكتوبر ٣٠، إذن غدًا هو عيد العفريت أو الهالويين كما يسميه الغربيون لكننا نادرًا ما نحتفل به في مصر.

الساعة الحادية عشره مساءً ثثاءبت واتجهت لفراشي، سأنام، كنت أفكر ماذا لو كنت بدولة أوروبية، كنت أعددت ثوبًا مناسبًا للتنكر الخاص بالغد، ثمرات اليقطين، الحلوى، الفزع

أكتوبر ٣٠

إنه الصباح ..أشعر كأنني لم أنم للحظة، دخلت إلى المطبخ لأجد أمي تعد الإفطار كعادتها كل صباح، ألقيت عليها تحيه الصباح، وتناولت شطيرة من الجبن وكوب من اللبن وخرجت لأرتدي ملابسي ..أريد أن أنزل اليوم لأشتري بعض الأغراض..رنَّ هاتفي الخلوي، نظرت إلى ساعة يدي التاسعة صباحًا.

ذهبت لأرى من المتصل إنها إحدى صديقاتي رددت عليها لتخبرني أنها قادمة هي وبعض رفيقاتي.تبًا لكم جميعًا اليوم أريد التسوق لا أريد مضيعه الوقت معكم، شكرتني على ذوقي وترحيبي بهم، وقالت لي:

- نحن قادمون إياكي والخروج بدوننا.

- ليكن سأنتظركم.

الساعة الثانية عشر ظهراً رنَّ جرس الباب إنهنَّ صديقاتي، ذهبت لأفتح لهم الويل لكم كل الويل على هذا التأخير، قالت لي إحداهنَّ:

- ماذا بك نحن لم نتأخر أكنتي تريدين أن نحضر إليك في العاشرة لنبيع كلنا الحليب سويًّا وانفجروا ضاحكات.

- ليكن سأذهب لأتمم لبسي ونخرج.

خرجنا ودخلنا المركز التجاري العديد من المحال ندخل من هذا وندخل ذاك، حلي وملابس وأغراض حسنا صرفت كل المال الخاص بي لم يتبق إلا القليل تناولنا بعض الشطائر في المطعم الملحق بالمركز التجاري، نظرت إلى ساعتي إنها الخامسة يا رفاق هلموا أريد أن أذهب خمس ساعات كاملة للتسوق.

هنا انجروا بوجهي جميعهم إننا لم نزور الطابق الخامس من المركز التجاري، ونريد أن نرى ما به من محال.

تبًا لهنَّ إن نقودي شارفت على النفاذ، كما أن هذا الطابق مازال تحت الإنشاء رغم مروري بهذا المركز كثيرًا، ولكني في كل مرة لا أفكر البتة في الصعود إلى هذا الطابق أنه دائمًا مظلمًا، ولمحت كثيرًا عمال يصعدون إليه مما يعني أنه مازال لم يعمل كما أنه لا يربطه بالطابق الرابع أي سلم كهربائي كما هو الحال في كل طوابق المركز، من أين الصعود له إذا حتى المصعد الكهربائي لا يوجد به إلا هذه الأزرار:

٤ ٣ ٢ ١ ٠

كأنهم ناسين أو متناسين هذا الدور، حقا هذا غريب غريب جدًا إذا التزمت الدقة

ليكن أين الصعود لهذا الطابق قلتها بنفاذ صبر، أريد أن أرجع إلى المنزل قادوني إلى سلم خلفي ليس على مستوى المركز من شئ، إن درجاته تشبه درجات البناء القديم، غريب هذا، هذا المركز حديث كيف يصنعون به درجات سلم بهذه الكيفية، وكيف اكتسبت هذا القِدم غريب كل هذا.نظرت إلى صديقاتي إنهنَّ يضحكن ولا أحد منهنَّ يبالي بما أفكر به، حسنًا لنصعد لينتهي كل هذا لأعود لبيتي.

كنا نصعد على الدرج، تعثرت إحدى صديقاتي، وقامت ضاحكه حسنًا إن الدرج مظلم جدًا، لأنه يقع خلف البناية وغير مزوَّد بأية وسيله إضاءة، كما أن الدور العلوي لا تنبعث منه أي إضاءة تساعدنا على الصعود.

توقفت في نصف الدرج، وقلت لهنَّ لنعود واضح أن هذا الدور لا يوجد به شئ، أرجوكم فقط لنعود.اتهموني بالجبن وصرنَّ يطلقنَّ أصواتًا مضحكة على غرار مم و عو، وكل هذا الهراء ابتسمت رغمًاعني وأكملت الصعود، ولكن قلبي كان يرتجف خوفًا، نعم كنت مرتعبة وأمنيتي الوحيدة العودة إلى المنزل.

***

ها قد صعدنا أخيرًا كما توقعت أنه طابق مظلم به واجهات زجاجية لمحلات غطاها البياض، مما يعني أنها لم تفتح بعد وأنها قيد الإنشاء، يوجد سلّمًا خشبيًا ومواد طلاء على الأرض، لكن أين العمال؟ واضح أنهم ذهبوا للغذاء وتركوا حاجاتهم لحين مجيئهم، ألم أقل لكن أن هذا الطابق خالي ولا يوجد به محال، هيا بنا لنهبط إلى الأسفل، كنت أسمع ضحكات الناس وكلامهم من الطوابق السفلية كأنه بعيدًا وكأننا مفصولون عنه بمسافة كبيرة.

حقا أريد فقط أن أهبط إلى حيث الأمان الناس قلتها وروحت على الدرج لأنزل.

تبعوني رفاقي هنا صاحت إحداهنَّ: انتظروا هناك متجرًا بأخر الرواق هلموا لنرى ماذا يعرض

لحقوا بها جميعًا حسنا سأنزل أنا، لم أعد راغبة بشراء شئ آخر، ولم أعد أملك ما أشتري به على كل حال، نظرت إلى الدرج إنه ازداد إظلامًا.

حقًا أنا لا أتخيل إنه كان مظلمًا من البداية، لكن ليس لهذه الدرجة بمجرد أن تركوني رفاقي ازداد إظلامًا كأنه أمر لي باتباعهم، حسنا تمهلوا يا رفاق أنا قادمة، أين هم أين ذهبوا؟!

نعم، إنها قالت هناك متجرًا بأخر الرواق ها هو رواق طويل أرى أخره متجرًا يضئ إضاءة قليلة للغاية، ما هذا الذكاء كيف له أن يبيع بهذا المكان؟

طابق تحت الإنشاء ومظلم ولا يوجد ما يربطه بالمركز التجاري سوى درج قديم خلفي مظلم أيضًا، والمتجر نفسه أخر الرواق وبهذه الإضاءة الخافتة، كيف يتوقع أن يراه الناس.

كأنه يريد أن يحجب عنه الأنظار، حكت لهذا التصور، ولكن أين ذهبت رفيقاتي أدخلوا المتجر بهذه السرعة، أكيد، لأرى ماذا يشاهدون وصلت إلى باب المتجر، كان متجراً خشبياً رديئًا للغاية، لا يصلح لمركز تجاري بهذه الفخامة، كأنه يعود لأوائل القرن مثله مثل الدرج الذي صعدنا عليه لا ينتمون إلى الحداثة بأية حال.

نظرت إلى الواجهة الزجاجية، لا أميز شيئًا بالداخل حقًا الإضاءه سيئة، سيئه إذا أردنا الدقة

كانت بالفترينة بعض المعروضات لملابس تنكرية مغطاة بالأتربة، وملابس بالية أصابها التلف

رفعت رأسي إلى واجهة المحل لأقرأ:

(أهلاً بكم في عيد العفريت)

هههههههههه ما هذا أهذا هو اسم المتجر ..اسم سئ لمتجر سئ

هل يقتصر نشاط المحل على اليوم فقط، غريب هذا، إن اليوم ٥٧ من أكتوبر وبهذا اليوم تحديدًا أرى هذا المتجر، حسنًا لأدخل وأرى لِم تأخرنَّ كل هذا، دخلت إلى المتجر، لم أرَ أي مخلوق بالداخل، أرى ستائر سوداء وأرفف رصت عليها بعض الثياب، وقد وقعت أغلبيتها على الأرض.

أرى قناعًا لقط قناع لدب يظهر عليه الشراسة قناع لساحرة شريرة أثار في قلبي رهبة لمجرد رؤيته.

أين ذهب رفاقي إذن؟

أحسست بشئ خلفي فأجفلت، نظرت خلفي فوجدت سيدة عجوز، لكنها شمطاء وجهها غير مريح بالمرة، كأنها قادمة من عوالم الساحرات الذين كانوا يحرقون في القرون الوسطى، كانت ترتدي معطفا أسود طويل، وترتدي قبعة مضحكه تشبه قبعات الساحرات وبجانب قدمها كان هناك قط كريه ينظر إليَّ بثبات، كانت العجوز تنظر لي بدون أن تتفوه بكلمة واحدة.

كنت أريد أن أسألها عن صديقاتي، لكني شعرت بجفاف غريب بحلقي، أعجزني عن الكلام

شق هذا الصمت صوتها:

- مرحبًا بكي يا صغيرتي، أهلاً بكي في عيد العفريت.

إنها سخيفة كذلك قلتها لنفسي.

-أهلاً بك

قالت لي:

- أتريدين أن تجربي بعض الملابس للاحتفال بهذه المناسبة الجميلة، إنها لا تتكرر إلا كل عام،

وأنا لا أجئ إلا كل عام، قلت لها بنفاذ صبر حسنًا أشكرك، لكني أريد صديقاتي أين هم، قالت لي نعم إنهم يجربون بعض الملابس أتريدين التجربة، تبًا لهنَّ لقد تأخرت ماذا يجربون سيشترون ملابس تنكرية، أين سيحتفلوا بها؟

قلت لها:

- شكرًا لا أريد، فقط سأنتظرهم، مدّت يدها إلى كيس بلاستيكي وضعت به قناع الساحرة وملابس سوداء بالية وقالت لي:

- خدي هذه، قلت لها:

- شكرًا، حقا لا أريد كما أني لا أملك نقودًا.

قالت لي:

-إنها هديه لتتذكري بها هذه الليلة ما حييتي قالتها وخرجت من المتجر يعقبها ذلك القط الغريب

أي سيده هذه وإلى أين هي ذاهبة وتاركة لنا متجرها هكذا راقبتها عبر الباب حتى ابتعدت عن مجال بصري.

هنا دخلت أنادي صديقاتي لقد تأخرت، أين أنتم لكن لأرد رفعت صوتي أكثر وناديتهم، لكن من جديد لم أسمع سوى صدى صوتي بدأ التوتر يدب بأوصالي.

رحت أفتح الستائر كالمجنونة، لكن لا شئ وراء كل ستار حائط لا شئ أنا وحدي بهذا المتجر حقا وحدي.

توجهت لباب المتجر لأخرج وقد انتابني الفزع، فقط لأسمع ضحكات أيتها الخبيثات لقد أعددن لي مقلبًا، بالتأكيد هنَّ الآن من المؤكد قد ارتدوا ملابس مخيفه وانتظرن بخارج المتجر حتى أخرج ويفاجئوني، لكن كيف خرجوا ومن أين وكيف لم أرهم؟

ازدادت الضحكات فأزحت الأسئلة جانبًا عن تفكيري، لأتخذ خطوة الانتقام أيتها الشريرات.

أخذت أخرج ما أعطته لي هذه السيدة الشمطاء من الحقيبة معطف أسود طويل قمت بارتدائه على ملابسي، وأخيرًا القناع الرهيب الذي توترت لدى رؤيته، قناع الساحرة الشريرة ارتديه،

نظرت لنفسي بمرآة جانبية لأرى أني صرت أشبه العجوز الشمطاء إلى حد كبير بلي إنني صرت هي. وجدت القط الكريه يدخل من الباب انتظرت قدوم السيدة، لكنها لم تأتِ وجدت القط قد جاء ليقف عند قدمي ويلعقني بمحبة.

هذا القط كان من دقائق ينظر لي شذرًا، حسنا شعرت إنني أحبه رغم كل شئ لا أعرف لم

هنا دقت الساعة، فزعت للغاية السادسة بهذه السرعة، لقد تأخرت لسوف توبخني أمي كثيرًا،

لكن نظرت إلى الساعة العتيقة المعلقة بالمتجر، لا أصدق حقا لا أصدق كيف هذا؟!

إنها الثانية عشر مساءً، كيف هذا كيف تمر سبع ساعات دون أن أشعر، ماذا سوف تفعل معي أمي، جريت خارجة بثيابي من المتجر الرهيب، لأجد أصدقائي واقفين بالخارج وقد ظهر عليهنَّ الإعياء الشديد والخوف و الذعر ما إن رأوني حتى صرخوا، تذكرت أنني مازلت ألبس القناع.

ما إن عرفوني حتى هدأوا، لكنهم جميعًا لا يتذكروا أي شئ، لا يتذكروا لماذا هم هنا الآن وكيف مرت تلك الساعات، لكنني الآن لا أتذكر إلا شيئًا واحدًا إنني لم أتناول غذائي منذ وجبة شطائر الساعة الخامسة، وجدتني أبتسم بخبث فأمامي الآن وجبة مكوَّنة من ثلاثة فتيات يبدو عليهنَّ الإعياء فلن يقاوموا كثيرًا .. حقًا كم كنت جوعانة ..

***

الباب السابع عشر

إنها تهذي !!!

- ستتزوجينه سواء شئتي أم أبيتي ...أفهمتي، لا يوجد بالبيت من يناقشني في شيء

ستتزوجينه أو أقتلك بيداي وأستريح منك.

بصوت خنقته الدموع ردت سلمى وسط صوت الأب الغاضب كالعاصفة العاتية:

- لكن...لكن ...أنا لا أحبه...

هنا قاطعها وقد احمر وجهه من الغضب وأخذ يتطاير اللعاب من فمه:

- أجننتي، تحبين ابنة سامي أبو النجا تتكلم عن الحب، سيكون الزواج الخميس القادم، اغربي عن وجهي الآن وإلا قتلتك.

جذبتها أمها بعيدًا عنه وهو في حالة الغضب تلك خوفًا عليهم جميعًا منه، وتراصت شقيقاتها البنات خلف الأبواب يرتجفن من صوت أبيهم، ويفكرون في ذات المصير المظلم حين يكبرنَّ ويصرنّ بعمر الزواج ...

***

أخذت تبكي في أحضان أمها وأمها تربت عليها بحنان وقلة حيلة، قالت لها أمها بصوت هامس لا تكاد تسمعه:

- أخفضي صوتك يا بنيتي ...لو سمعك تبكين لقتلك وقتلنا جميعًا.

قالت لها:

- أحتى البكاء في هذا المنزل ليس لي الحق به.

قالت لها أمها :

- أرجوكي يا بنيتي ...أباكي طيب كما تعلمين ...لكنه غاضب الآن

قالت سلمى بعصبية :

- طيب، أتقولين طيب !!! إنه دمر حياتي، وحياتك من قبلي، وحياة هؤلاء البؤساء من بعدي وإشارت إلى شقيقاتها الخمس الجالسين على الأرض ملتصقات ببعضهنَّ يرتجفنّ من صوت أباهم الجهوري بالخارج، ثم استطردت سلمى قائلة لأمها:

- لقد رباني منذ الصغر على الخوف ولا شيء إلا الخوف، كل الأطفال يفرحون عند رؤية والدهم عائدًا إلى المنزل إلّا أنا فقد كنت أكره وقت وصوله، أسعد لحظاتي عندما يكون بالخارج، كنت أسمع ضربه لكي كل يوم بدون سبب سوى زيادة الملح قليلا في الطعام،

أو طلبك زيارة أمك أوأنك استيقتظتي بعده بدقيقة أو ...أو .... حتي وإن ضايقه أمر بالخارج كان يعود ليضربك أنت حتى يتخلص من شعوره بالضيق ...

كل مرة أطلب منه شيء ويضربني ليس لشيء سوى أنني بنت وهو لا يحب إنجاب الإناث، وكل مرة تلدي فيها أنثى ويبرحك ضربًا بعد الولادة مباشرة، أتتذكرين كم مرة كان سيتسبب بموتك جراء ضربه لكي، كان سيحرمني من أغلى ما عندي بالوجود، أنتي يا أمي واغروقت عيناها بالدموع وهي تكمل؛

- كنت أدرس كثيرًا ليس حبًا في الدراسة، ولكن خوفا من بطشه، هويكرهني ويكره شقيقاتي لأننا إناث، كنت أخشى إن رسبت أو حتى حصلت على درجات ضعيفة أن يبطش بي أو يحرمني من الدراسة، فكنت دائمًا الأولى على المدرسة ...كنت أجري عليه حاملة شهادتي متخيلة أنه سيفخر بي ...سيفخر بابنته التي جاوزت درجاتها كل درجات الذكور من أبناء أصدقائه لكنه ...لكنه كان يكافئني بالضرب. يضربني بكل قسوه ...بلا أسباب وكأنني أحمل شهادة رسوبي وليست نجاحي، وعندها حرمني من التعليم، عندما شعر بتفوقي المستمر ففارقت التعليم وأنا بالمرحلة المتوسطة وجلست في المنزل، كنت أرى شقيقاتي يذهبنَّ إلى المدرسة وأنا جالسة جوارك فأبكي ..

حتى من أحببته وتمنيته زوجًا لي وجاء لخطبتي هو ووالده رفضه ليس لسبب سوى أني كنت سعيدة، أبي استكثر على ابنته السعادة كان يريد تحطيمي وفعلها على خير وجه

حطمني ...

وعندما جاء سلامه لخطبتي وهو ابن صديقه وافق أبي دون حتى أن يسألني وإن كان على سبيل الاعتبار لي ...أو مراعاة شعوري أو خاطري. لكنه . لكنه لم يفعل ووجدتني بالفستان الأبيض أزف إلى شخص لا أعرفه لم أحبه ولم يختاره قلبي .

كل عروس ترتدي الفستان الأبيض تكون شديدة السعادة أمَّا أنا فكنت أنتزع الابتسامة من فمي ...ليس مراعاة للعريس ولكن خوفا من أبي، نعم كنت أخشاه حتى وأنا أزف إلى رجل صار هو المسئول عني حينها.

كنت أشعر أني أسير على نفس خطاك يا أماه وأنني سأحظى بحياة مثل حياتك

كنت أحترق من الداخل، بل كنت أتعذب، أتألم وأنا أزف إليه، بعد أن تزوجنا وجدت أن توقعاتي كانت لا محل لها من الصحة فسلامة رجل طيب، يريد إرضائي بكافة الطرق، لا يعرف الصوت المرتفع أو الضرب أو الإهانة.

هو رجل متعلم معترف بحقوق المرأة، لكنني كنت أكرهه، نعم فهو رجل غطته طبقة من المدنية أن أزلتها سيصبح مثل أبي ....

كان كل يوم يزداد طيبته وحبه لي ويزداد كرهي له، إلى أن جاء اليوم الذي مات فيه، حزنت حزنًا شديدًا ...شعرت بقيمته

دائمًا لا يشعر الإنسان بقيمة من معه إلا حينما يفقده، ولم يلبث شهرين وأجد أبي يريد أن يزوجني بآخر، ألا يراعي حزني على زوجي وأجهشت في البكاء.

ضمتها أمها وربتت على شعرها وقالت:

- أبوك طيب القلب يا سلمى هو فقط لا يحسن التعبير، يخاف علينا لكن بطريقته إنه ...

قاطعها صوت الأب الجهوري من الخارج:

- فوزيـــة أين أنت أأصبتي بالصمم .

قامت الأم منتفضة وهي تجري قائلة له وهي ترتجف:

- إني آتية.

مسحت سلمى دموعها وابتسمت ابتسامة سخرية وتمتمت :

- طيب هذا واضح تم الزفاف على أحمد سريعًا.

كان شخصًا طيباً أيضًا ...من نوعية الرجال التي لا تصبو إلى شيء سوى الزواج والاستقرار، يذهب إلى عمله الحكومي صباحًا ...ثم يعود بعد الظهيرة غير منتظم الثياب إثر ركوبه المواصلات، يضع الجريده بيد واليد الأخرى حاملاً كيسًا من الفاكهة...يعود إلى منزله مرهقا لا يريد شيء سوى وجبة غذاء ساخنة وكوب شاي ثقيل ثم قسطا من نوم القيلولة.

رجل مصري عادي جدًا كالذي نراهم في الأفلام ...لكن سلمى لم تستطع أن تحبه، كانت ترى كل الرجال في صورة أبيها، كانت تتصيد له الكلام حتى تتشاجر معه ...

وهكذا تبخر من رأس أحمد فكرة الزواج السعيد الذي ينشده استقرار ..هدوء ...زوجة مطيعة ...وجبة غذاء ساخنة، لا شيء من هذا إطلاقاً.

لكن سلمى كانت تشعر بنشوة غامرة من داخلها عندما تضايقه أو تجعله حزينًا ...تشعر بفرح غريب وكأنه محقن من الهدوء والسعادة تجري بأوردتها فيشعرها بالسعادة والتلذذ نعم يغمر قلبها الفرحة حين تستطيع أن تجرحه أو تجعله حزيناً.

كانت تشعر أنها لا تضايقه هو بل تضايق أبيها.

لكم من مرة تذكرت أن أباها قد سبها أو ضربها فتقوم لزوجها المسكين فتجعل حياته جحيمًا، لكن أحمد لم يستطع التحمل كثيرًا ...

هددها بالطلاق ..وهددها بأخبار والدها بأفعالها، وكانت تلك هي الطامة الكبرى بالنسبة لها...أرجوك والدي لا أرجوك، وهكذا تحوّلت سلمى إلى حمل وديع مع زوجها ولأنه طيب القلب فقد نسي كل أفعالها السابقة واستقرت الحياة ...نوعًا ما، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ...لقد مات أحمد ...ورجعت سلمى لمنزل أبيها الذي شبهها بالغراب الذي يحل على كل مكان فيصيبه بالنحس.

عاشت سلمى أسوأ ايام حياتها في تلك الفترة، كانت تجهش بالبكاء من أجل زوجها الثاني و موته، ومن أنها رجعت مرة أخرى في قبضة أبيها بعد أن استقرت حياتها،

كان الأب مشغولًا بزواج شقيقة سلمى لرجل لا تعرفه ولا تحبه مثلما حدث مع سلمى،

وفي فرح شقيقة سلمى رآها أحد أصدقاء والدها الذي يزيد عن والدها عمراً ببضعة سنوات أيضًا.

ثم طلب يدها من أبيها ووافق الأخير، ووسط صدمة وذهول ووجوم كل من في المنزل.

***

- حدثيني عن زوجك الثالث....

قالها الطبيب النفسي المعالج لسلمى

قالت سلمى بهدوء :

- كان يفوق أبي قسوة وبشاعة ...كان يضربني كل ليلة، كان يتصيد لي أصغر الأخطاء حتى يضربني، رأيت معه الهول ذاته ...ألم تقولي لأبوكي شيئاً مما يفعله صديقه معك

قالت له وعيناها متورمتان من البكاء:

-لا ...لم أقل له شيء...

قال لها الطبيب:

- إذن فلتحكي لي كيف قتلتي أزواجك الثلاث، وكيف أخفيتي الجرائم كل ذلك الوقت، وكيف أبعدتي عنك الشبهات الجنائية، ولِمَ سلمتي نفسك بعد قتل زوجك الثالث بالذات ....

***

بعد اعتراف المتهمة سلمى سامي أبو النجا بجرائمها وثبوت الأدلة وشهادة الشهود ونظراً للتقرير الطبي الذي أعطاه لنا الطبيب، فقد قررنا إحالة أوراق المتهمه إلى فضيلة المفتي.

وسط صراخ أمها وشقيقاتها والهرج والمرج بقاعة المحاكمة، نظرت سلمى من داخل قفص الاتهام إلى أبيها فوجدته دامع العينين، كانت لا تصدق ما تراه ...إنه يبكي، يبكي حزنًا من أجلها، ولأول مرة منذ سنين طويلة تبتسم سلمى ...تبتسم ابتسامة صافية من قلبها.

تمتمت بجملة لم يسمعها أحد عندما أطبق على معصمها جنديين بالكلابات الحديدية ليأخذوها من القفص...جملة صغيرة خرجت من بين شفتيها :أحبك أبي ...أحبك...

***

الباب الثامن عشر

نغمات ليلية

أعلم أنها الليلة لا أعلم لماذا أم كيف ..فقط إحساسي يخبرني بذلك، إنه ذلك الشعور الذي تشعر به حين ينتصب شعر رأسك في عصبية، مؤكدًا لك أنك لست على ما يرام، أسمع من بعيد ذلك الصوت .. صوت جيتار نغمات شجيه حزينه كيف أسمعها من أين تأتي لا أعلم .. يتسرب الصوت من تلك النافذه ..أهي نغمات أم هي تلك الكهرباء الاستاتيكيه النابعة من هذا الجو الممطر الكئيب.

حقًا أتمنى أن تنتهي هذه الليلة ..فقط ضوء الصباح من يستطيع أن يمحو كل هذا الخوف الذي بداخلي.

لكنها الواحدة صباحًا فقط مازال الوقت مبكرًا..أنظر إلى الساعة بدقاتها الرتيبة، وكأن عقرب الثواني أصيب بعسر الهضم فلم يستطع أن يتحرك انشا واحدا ..أأنا أهذي أم أن الوقت متوقف ..

فقط صوت الرياح والأمطار يقطعه الرعد دقات الساعة، تلك النغمات الشيطانية التي تبدو أنها قادمة من الجحيم ذاته.

التلفاز ..ذلك الجهاز العتيق أتقدم نحوه فربما أستطيع أن أتابع به أي شئ يمحو القلق من داخلي أتقدم نحوه أفتحه ولكن تبًا للأمطار لا يوجد إرسال ..لا يوجد شئ...أرى وجه مذيع يقول شيئًا لكن الصورة مضطربة بشدة يتحدث يضحك لا أفهم شئ فأغلقه بعصبية، النوم حتى الصباح ليت كل ما يتمناه المرء يستطيع عمله، وكيف لي

أن أنام بهذه الليلة تلك النغمات الشيطانيه تبًا لها من أين تأتي أتقدم نحو النافذة، لا شئ أشجار تحف بالنافذة غابة كئيبة مظلمة، ومن مكان ما يأتي ضوء، لا أدري مصدره أسمع النغمات تعلو أتراني أهذي لا أعلم إنه ذلك الصوت القادم من أعماقك ولا تستطيع تحديد مصدره فقط تسمعه تتشكل النغمات.

على هيئه كلمات، نعم كلمات تطالبني بالنزول ثم ماذا! ..لا أدري فقط أريد النزول وبشدة ولما لا ..فقط أرتدي ملابس ثقيله وقبعة رأس صوفية وأنزل أتراني أهذي، أم هذا الصوت حقيقي لا أعلم، ولكني غير خائفه أو مذعورة، فقط أريد أن أنفذ رغبات ذلك الصوت، لماذا أشعر بارتياح غريب ؟ لبست على عجلة من أمري أخذت المفاتيح وضعتها بالحقيبة. إنها الليلة، ليلة لا تتكرر إلا مرة واحدة كل ٥٦٣ ليلة، ولكن يبقى السؤال إلى أين ؟ فتحت الباب ولم أكن أتصور أن تأتيني الإجابة بهذه السرعة.

***

الباب التاسع عشر

حظك مع الكواكب

حظك اليوم

التقطت الجريدة وأخذت أتصفح فيها، مجموعة من الحوادث لا حصر لها.

ربة منزل تقتل خادمتها لشكها في أنها تريد أن تستولي على قرطها الذهبي.

زوج يطعن زوجته لشكه في سمعتها.

أب يقتل معلم ابنته لشكه في حبه لابنته.

خطيب يطلق النار على خطيبته الحسناء لشكه في حبها لصديقه.

أقشعر جسدي لكمية هذه الحوادث الغريبة التي كان مبررها الوحيد هو الشك الذي أودى إلى قتل كل هؤلاء، خاصة الخبر الأخير، كيف يقتل خطيب خطيبته فقط لشكه فيها .. كان من الممكن أن يتركها إن تأكد، إنما أن يشك إنسان فيقتل فهؤلاء الناس حتمًا قد جنوا.

هنا دقّ الهاتف الخلوي فأخرجني من شرودي، إنه خطيبي.

كنت قد خطبت منذ أسبوعين فقط لا غير، يعمل صحفي في ذات الجريدة التي كنت أقرأ

فيها حوادث الشك الغريبة تلك.

- ألو ..رنا لقد أفزعتيني

- أنا أفزعتك ..لم؟

- لقد قرأت حظك اليوم في الجريدة وقرأت برجك، مكتوب فيه حادث مفاجئ اليوم فتوخي الحذر.

- فكلمتك على الفور عدة مرات ولم تردي ..فشككت أنك .. حقًا ..لقد كرهت كلمة شك - ماذا بك يا رامي أتصدق مثل هذه الترهات، معنى هذا أن كل مواليد برج الجدي سيصابون بحادث اليوم، كف من فضلك عن هذه الخيالات المريضة، ثم إن هاتفي لم يرن من قبل إنها أول مرة فهو بجانبي كيف لم أسمعه .. أيكون قد شردت في القراءة إلى هذا الحد.

تنهد رامي وقال وكأنه شارد هو الآخر ولم يسمعني :

- لا أدري يا رنا كل ما أعرفه أني قد قلقت عليكي جدًا، تبًا لكاتب حظك اليوم

قلت له وأنا أضحك :

- اذهب وانتقم منه أليس هو زميلك في نفس الجريدة

قال لي:

- بلى، ولكنني على غير وفاق معه، لقد أخذت أنا مكانه بقسم الحوادث ونُقل هو لقسم حظك اليوم، خطيبك هو أسطورة الصحافة يا آنسة رنا، ضحكت فضحك هو الآخر ....

***

أغلقت الاتصال وعدت أتصفح في الجريدة ...هاهو باب حظك اليوم، هاهو برجي كما قال لي رامي يبشرني بحادث فعلي توخي الحذر، ضحكت ورميت الجريدة جانبًا، هنا سمعت أمي تناديني:

- رنا يا رنا

- نعم يا أماه

- لقد نفذت البطاطس .. انزلي اشتري لنا من عند عم إسماعيل الخضري

- أمي ..لا أحب شراء الخضروات، ثم من عم إسماعيل هذا

قالت لي أمي وهي تغسل الصحون:

- إنه في الشارع الخلفي يا رنا ...ثم أنك الآن مخطوبة وستصبحين زوجة في القريب برأيك من سيشتري لك الخضروات حينها، وإن كنتي لا تريدين النزول هلمي اغسلي أنت الأطباق وأنا سأنزل.

قلت لها بفزع حقيقي هذه المرة :

- أغسل ماذا ؟؟ سأنزل طبعًا، حبيبي يا عم إسماعيل

ضحكت أمي ثم قالت لي وأنا أتأهب للنزول:

- واثنان كيلو من البصل واثنان كيلو من الطماطم و ..أغلقت الباب قبل أن أسمع الباقي.

***

هاهو عم اسماعيل بدكانه الصغير يفترش أقفاص الخضروات والفاكهة الطازجة، وهاهنَّ النساء يملأن الدكان الصغير فيهجمون على الأقفاص حتى أكاد لا أجد لي مكانا بينهنَّ، هنا بدأت أحاول التذكر ..ماذا كانت تريد أمي، نعم كانت تريد بسلة وجزر وقرنبيط.

نقدت عم إسماعيل أمواله وأخذت الأكياس ورحلت، كان الشارع الخلفي شارع ضيق خال من المارة، كنت أحمل الأكياس بيدي وأعبر الشارع للوصول إلى شارعي، وهنا ظهرت تلك العربة السوداء المسرعة، لم أسمع إلّا صوت الفرامل ولم أر شيئًا .

***

بدأت أفيق أرى خيالات أشخاص أسمع ضوضاء وصوت أحدهم يقول حمدًا لله لقد غابت عن الوعي بفعل الصدمة لكن السيارة لم تصبها بأذى.

أسمع قائد السيارة يقول :

- لقد أطلقت بوق السيارة عدة مرات حتى تنتظر لأعبر، ولكن لصدمتي وجدتها تعبر أمامي مباشرة وكأنها لا تراني ولا سمعت البوق وكأنها تريد أن تؤذي نفسها أو أن تسوي حادثا بنفسها.

يا له من كاذب، كيف أراه وأعبر أمامه، ثم إنه لم يطلق أي أبواق، كنت أريد أن أتكلم لكنني لم أستطع، بعض النسوة يلملمن أكياس البسلة والقرنبيط التي فرطت مني، وبعضهنَّ يحملنني على النهوض ،عرض عليَّ صاحب السيارة أن يوصلني لبيتي، لكنني قد صرت أفضل فأخذت أكياسي ورحلت.

***

كنت شاردة وأنا أتناول الغذاء ورجلي تؤلمني من أثر السقوط، نظرت لها فوجدتها متورمة بعض الشئ وبها كدمة زرقاء كبيرة، رجعت أنظر إلى طبق البسلة والأرز أمامي ألوك بعضه وأنا شاردة تمامًا.

***

«أنا أفزعتك ..لم؟»

«لقد قرأت حظك اليوم في الجريدة، وقرأت برجك مكتوب فيه حادث مفاجئ اليوم فتوخي الحذر

فكلمتك على الفور عدة مرات ولم تردي ..فشككت أنك .....»

حادث ؟؟ ومفاجئ؟؟

***

ثم عدت إلى شرودي «لقد أطلقت بوق السيارة عدة مرات حتى تنتظر لأعبر، ولكن لصدمتي وجدتها تعبر أمامي مباشرة، وكأنها لا تراني ولا سمعت البوق وكأنها تريد أن تؤذي نفسها أو أن تسوي حادثا بنفسها».

***

نهضت دون أن أكمل طعامي سألتني أمي:

- ألن تكملي طعامك يا رنا ؟

- غمغمت ببضعة حروف لم أفهمها أنا شخصياً ودخلت حجرتي...

ابتسمت أمي وقالت شئ عن الحب الذي يصنع الشرود وما إلى آخره، لم أسمع ما قالته وأغلقت باب حجرتي وارتميت على الفراش تصارعني الأفكار في تفسير ما حدث لي اليوم إلى أن غلبني النوم ....

أفقت صباحًا، ولكنني شعرت بآلام في جسمي كله وكأنني لم أنم، كانت أمي كعادتها مستيقظة مبكرًا قلت لها وأنا متجهة للحمام :

- صباح الخير يا أماه

قالت لي :

- صباح الخير يا صغيرتي..لقد نمتي كثيرًا البارحة

طرااااخ ..طرااااخ

عفوًا لكنها أمي تنفض السجاد، دخلت إلى الحمام غسلت وجهي ونظرت إلى المرآة

أرى عيني وقد أحاطت بهم بعض الهالات السوداء الخفيفة، خرجت أحتسي الشاي وأمسكت الجريدة اليومية أقرأها، لا أعلم لم بحثت أول شئ عن باب حظك اليوم !!!!

برج الجدي: يشك فيك الحبيب فحاذر من شكه، لأنه قد يسبب لك المشكلات

يشك في الحبيب ؟ ولم يشك؟!

فأنا لا أبارح المنزل إلا لشراء الخضروات من عم إسماعيل كما تعلمون، ضحكت وكدت أقلب الصفحة لولا أن هناك ما استرعى انتباهي ...استرعى انتباهي بشدة .....

برج القوس: حاذر من الحبيب فهو يخونك ..فاطعنه قبل أن يطعنك.

ما هذا الرجل غريب الأطوار الذي يكتب مثل هذا الكلام

تررررررن ....تررررررن

لا ليست أمي هذه المرة وسجادها، إنه رامي يتصل بي:

- ألو ..صباح الخير رامي.

- صباح الخير

- كيف حالك

قال لي باقتضاب :

- بخير وأنت

- بخير ..ماذا هنالك ..أبك شئ

- لا..أردت فقط الاطمئنان عليك قبل العمل

ثم تنحنح قليلاً وقال:

- أين كنتِ بالأمس يا رنا؟

- الأمس.. الأمس

- متى

- ليلاً

- كنت نائمة تناولت غذائي ونمت للصباح.

- آسفة لم أسمع اتصالك ليلا يا رامي

- رنا أين محبسك؟

- محبسي ..

نظرت إلى يدي واتسعت عيناي رعبًا .....

- محبسي ..إنه ..إنه كان بيدي أأنا لا أخلعه من أصبعي أبدًا أين ذهب؟!

ثم تذكرت البارحة لقد نزلت به عندما اشتريت الخضروات، ولكني أتذكر شكل يدي بعد الحادث كنت أنظر إلى الجروح مكان الوقعة لم يكن بها أي محبس، هل معنى هذا أنه وقع مني عندما فقدت الوعي، لكن كيف عرف رامي بفقدي لمحبسي؟

تنحنحت وقلت له بصوت مرتبك :

- لا أعلم أين محبسي؟ أعتقد أنه ضاع، لكن كيف عرر..عرفت .

قال لي بنبرة شك واضحة هذه المرة:

- أحدهم أرسل لي مظروفًا به محبسك مع قصاصة ورق بها بعض الكلمات.

- كلمات، أي كلمات..

- مكتوب بها حاذر من رنا فهي تخونك وصمت.

قلت له مكملة :

- فاطعنها قبل أن تطعنك، أليس هذا هو باقي الكلمات!

قال لي بهدوء حذر:

- كيف عرفتي؟؟؟؟

قلت له مسرعة :

- لقد كنت أختبر ثقتك بي ..أنا من أرسلت لك هذا المظروف .

هنا تنهد رامي بارتياح قائلاً :

- حبيبتي يا رنا ..وهل تظنين أني من الممكن أن أشك بك لحظة و .....و .....

لم أعد أسمع شيئًا مما يقوله رامي فأنا قلقة جدًا، أغلقت مع رامي الاتصال، وأخذت أفكر

لم كذبت، وقلت إنني من أرسل إليه المحبس، رغم عدم علمي من الأساس أن المحبس قد ضاع أو وقع مني، نعم أن الإجابه موجوده لقد خشيت أن يشك رامي بي، هنالك سر لا أفهمه، من الذي أرسل المحبس، من يريد الوقيعة بيني وبين خطيبي؟!

***

ارتديت ملابسي وتحسست أصبعي الفارغ مكان المحبس، وشعرت باضطراب وخوف داخلي لا أدري سببه ثم نزلت.

أوقفت سيارة أجرة إلى الجريدة التي يعمل بها رامي، نقدت السائق أمواله ونزلت أمام بوابة الجريدة، أخذت نفسًا عميقًا ثم.. دخلت، ذهبت إلى قسم الحوادث حيث يعمل رامي، وما إن رآني هذا الأخير حتى تهللت أساريره من السرور:

- رنا لم تقولي لي أنك قادمة.

قلت له:

- وهل هناك ما يزعجك أني جئت

قال لي:

- إطلاقاً.

ثم أجلسني على الكرسي المقابل لمكتبه وطلب لي مشروبًا باردًا، ثم قال:

- حسنًا إذا ما سبب هذه المفاجأة السارة.

قلت له:

- أريد محبسي؟

قال لي:

- كان يمكنك الانتظار إلى أن آتي لزيارتكم غدًا وأحضره لك.

قلت له:

- كلا إنه فأل سئ ألا يظل في أصبعي.

ضحك رامي ثم ناولني المحبس، تأملته بين أصابعي وشردت مفكرة، كيف جاء إلى هنا ومن أرسله وكيف ضاع مني ؟ وووومئات الأسئلة التي لا أجد لها حلاً قال لي رامي:

- رنا أهناك شئ ما ؟

لبست المحبس بسرعة، ثم نظرت له وقلت باضطراب:

- لا ...لا شئ أنا مضطرة للذهاب

قال لي رامي:

- لِم العجلة؟

قلت له:

- سأشتري مع أمي بعض الأشياء

قال لي:

- وماذا عن الكولا التي طلبتها لك؟

قلت له:

- فلتشربها بدلاً مني، وغادرت مسرعة قسم الحوادث، ولكني لم أتجه لباب الخروج، ولكنني سألت أحدهم عن قسم الأبراج والفلك.

***

علم التنجيم هو مجموعة من الأنظمة، والتقاليد، والاعتقادات حول الأوضاع النسبية للأجرام السماوية والتفاصيل التي يمكن أن توفر معلومات عن الشخصية، والشؤون الإنسانية، وغيرها من الأمور الدنيوية. ويُسمى من يعمل في علم التنجيم بالمنجم ويعتبر العلماء التنجيم من العلوم الزائفة أو الخرافات.

وظهرت العديد من التقاليد والتطبيقات التي تستخدم المفاهيم الفلكية منذ البدايات الأولى لذلك العلم خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد. ويعتقد المنجمون أن تحركات ومواقف الأجرام السماوية تؤثر مباشرة على الحياة فوق كوكب الأرض، أو أنها تتطابق مع الأحداث الإنسانية ويعرف المنجمون المعاصرون علم التنجيم بأنه لغة رمزية أو شكلاً فنيًّا، أو نوع من أنواع التنبؤ بالمستقبل.

***

تركت الكتاب الذي ابتعته من المكتبة القديمة المجاورة لمنزلنا شاعرة بعد الفهم... كنت أريد تفسيرًا وليس مفهومًا عن التنجيم، وكأنما كنت أريد أن يشرح لي الكتاب من أرسل محبسي لرامي، كنت قد مررت على قسم الأبراج في الجريدة أثناء زيارتي لرامي، ولدهشتي لم أجد إلا موظفًا بائسًا اسمه سمير، إن هذا الوجه مألوف لي جدًا، كنت أحاول تذكر أين رأيت هذا السمير من قبل، وعندما سألته عن إن كان هو من يكتب حظك اليوم.

نفى وقال لي:

- إنه جديد بهذا القسم وأن من يكتب الأبراج هو رجل أرمني تعرف عليه في إحدى الندوات، وقال له: إنه درس علم الفلك وسافر إلى بلاده واستمرت بينهم الاتصالات عبر شبكة الإنترنت إلى أن علم

أنه نقل إلى قسم الحظ والفلك بالجريدة فما كان منه إلا أن يرسل إليه يوميًّا إيميلاً يحتوي على اثني عشر برجًا وحظهم الفلكي.

قال لي:

- إنه في بادئ الأمر أخذ الموضوع على أنه غير جدي وقام بنشره إلى أن سمع بعض التعليقات عن أشياء يكتبها وتحدث، فهو لا يندهش أنني أتيت إليه أسأله لأن غيري الكثيرين قد قاموا بسؤاله.

شكرته وخرجت من الجريدة وها أنذا لا أفهم شيئًا.

***

وفي اليوم التالي أسرعت أرتدي ملابسي وأتزين أمام المرآة لأن رامي قادم بعد الغذاء،

وعندما جاء رامي استقبلته بابتسامة رائعة، كنت مرهقة ومتعبة، لكنني قد نويت أن أحكي له عن مخاوفي عن كل شئ، سأحكي له عن أنني لم أرسل المحبس مع أحد ما سأحكي له عن الحادث الغامض، سأحكي له عن ذهابي لقسم الأبراج وعن الأرمني الغامض.

سأحكي سأحكي ليفكر معي ويفسر لي تلك الألغاز، كنت أنوي أن أحكي له الكثير، لكن سؤاله عن علاقتي بزميله سمير أفقدني النطق، كنت أريد أن أحكي فقط لم يكن هناك وقتا لذلك، لأن

يده التي أطبقت على عنقي جعلتني أختنق فلا أستطيع النطق ببنت شفه.

ووسط الغيبوبة والظلام التي كنت أسرع الخطى لها تذكرت عنوانا في الجريدة قسم الحوادث يقول:

خطيب يطلق النار على خطيبته الحسناء لشكه في حبها لصديقه.

ما الذي يجعل خطيب لمجرد الشك في خطيبته يطلق عليها النار.

ما الذي يجعل خطيب لمجرد الشك في خطيبته التي لم يمضِ على خطبتهم أسبوعان يخنقها لمجرد شكه بها فليتركها فحسب.

***

خطيب يقوم بخنق خطيبته لشكه في حبها لصديقه

يكتبه لكم سمير فوزي من قسم الحوادث

إن قسم الحوادث كله يتأسف على مأساة زميلهم رامي

إن مصيره الإعدام لا شك في ذلك

إن قصة الأبراج والإيحاء النفسي وحادث السيارة البسيط

الذي كان هو قائدها والمحبس الذي أخذه خلسة أثناء الإغماءة وإرساله لرامي وذهابها لمكتبه وبعض الجنيهات للعمال ليرددون فقط أن خطيبة الأستاذ رامي قدمت الجريدة لمقابلة صديقة.

الشك الدفين الذي يصنع المشكلات، لقد حذرتك يا رامي، حذرتك أنني سأرجع لمكاني لقسم الحوادث قريبًا، ولكنني نسيت أن أذكر لك إن أول سبق صحفي لي سيكون أنت به بطلاً فهنيئاً لك السجن وهنيئاً لي الصحافة.

***

عن ابن عباس عن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال ((من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)) والسحر من باب الكبائر، وقد يكون من الكفر. عن وصيفه بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي عن النبي قال: (من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة).

***

الباب العشرون

انتقلنا إلى تلك القرية الصغيرة بجنوب مصر لكم كانت رحلة مرهقه بحق، لم أتصور بعد هذه القرية عن العاصمة.

أبي كان سعيدًا بذلك المنزل الريفي البسيط المُعد من طابقين ومزوَّد بحديقه غناء، ولك أن تأخذ لنا لقطة بتلك الكاميرا الفوتوغرافية التي معك، من أين ابتعتها، إن تلك الاختراعات الجديدة جميلة، ولكنها ألغت سحر التصوير الكلاسيكي وترييك.

ماهذا ؟ نعم إنها الصورة هاهو أبي بالبدلة الرمادية وقبعته فوق رأسه سعيدًا جدًا بمنزلنا الجديد يداعب النباتات فرحًا، ترييك هاهي أمي مهما قلت أو فعلت فهي دائمًا في المطبخ تعد مطبخها الجديد بعد قليل سنشم رائحه الفطائر الطيبه، ترييك هاهو شريف أخي من الواضح أن المكان لا يعجبه ككل، كان الجو حارًا رطبًا والنباتات لا تهتز بفعل نسمه واحده «أبي سأذهب لأستكشف هذا المكان الجديد» رد بدون أن يلتفت لي فقد كان يداعب يعسوبًا وجده حسنًا، ولكن لا تبتعدي «نانا» هذه أمي «نعم يا أماه»خدي بعض النقود من أباكي وابحثي عن أي محل بقاله أريد بعضًا من البهارات «نها» إنه شريف»نعم ياشريف» اسألي عن مكتب البريد لأراسل أصدقائي قالها بتأفف ولم ينتظر ردًا ورحل.

وهكذا خرجت لأبحث لأمي عن محل البقاله ولأخي عن مكتب البريد .. الجو بدأ يعتدل خفت حدة الرطوبة، أمشي في شوارع

القريه شاعرة بالرضا دون معرفة مصدره، فجأة سمعت بوق سياره انتزعني من هذا الشعور، يا لهذه السيارة الغريبة والسائق الأغرب، ماهذه الثياب التي يرتديها، قميص قطني كتب عليه بالإنكليزية وبنطلون من قماش أزرق غريب لم أره من قبل، ولكنه عيناه انتزعتني من أفكاري عميقتان حزينتان دافئتان:

- «من أنت» أنا نها وأنت»

- أنا د.نائل» أهلا بك» وبكى، ولكن هل أنت ضيفة على هذه القرية، إنها قرية أجدادي وأعرف كل شبر بها وكل سكانها .

- «نعم أبي مهندس زراعي انتقل هنا حديثا «أهلا بكم « .

مرت الأيام والشهور وازدادت زيارات نائل لأبي ولنا، وصار صديقا لشريف أخي وجاءت اللحظة التي طالما انتظرتها، لقد طلب نائل أن يتزوجني ولقد لاقى طلبه فرحة من أمي وأخي، ولكن فتور أبي هذا ما أخشاه، نائل يبتاع الزهور ويحضر أمه وأخوه لقد توفي والده منذ سنوات وهاهم يركبون السياره يتجهون لمنزلنا لطلب يدي ولكن...عفواً أين المنزل إن تلك الأطلال لم تكن موجودة من قبل، «د.نائل»:

- أهلاً أستاذ وجدي .

- ماذا أتى بك لتلك المنطقة النائية من قريتنا، ولماذا أحضرت أمك وأخوك «؟

- جئت لزيارة أستاذ شامل وطلب يد ابنته نهى، ولكن المنزل.. تلك الأطلال.. لم تكن «يا د.نائل هدا المكان لم ولن يوجد به منزل أبدًا إنها المنطقة النائية في قريتنا !!»نها» نعم يا بابا» تعرفين كم أحبك، ولكن زواجك من نائل لا يصلح أبدًا أبدًا أبدًا.

باب أخير لم نجد عليه رقم!!!

كان يمشي لاهثا والأمطار تغرقه، مواء القطط الهاربة يحاصره،إضاءات السيارات تعميه، هدير الرياح يكاد يجمد الدماء بعروقه، الجو شديد البرودة والأرض مبتلة بالمياه.

يمشي، يتعثر، يسقط، وينهض مجدداَ، مواصلا السير.

أمعائه تصرخ من الجوع، ولكن يبدو ذلك ترف لمن هو مثله، أين المنزل والدفء أين الأمان، أين الطعام؟!

تتوغل بداخله متلازمة الرعب الشهيرة (البرد،الخوف،الجوع)، لكنه في النهاية وصل ها هو المنزل يتراءى له من بعيد مُبددًا كل شعور بالخوف.

المنزل ذلك الحنين الخفي منذ الطفولة الذي - مهما غبنا - يدفعنا بحنين إلى ذلك المبنى الأسطوري «منزلنا»

يخرج المفاتيح بيد مرتجفة وقلب مرتعب وجسد منهك ..

ليرتمي بين أحضان منزله، لينهي يومًا قاس ويعود لفراش دافئ طالما اشتاق إليه.

تك..تك..تك انفتح الباب أخيرًا، ولكنه لم يعلم أنها لم تكن نهاية يوم قاس عصيب، بل كانت البداية.

نحن من موقعنا هذا لا نعرف ما حدث ...هل سنراه مرة أخرى حتى نسأله ..

دعونا من ذلك فقط لنوصد النوافذ والأبواب فإنها... ليلة ممطرة أخرى!!!!!

تمت بحمد الله

***

الفهرس

مُقدِّمــةٌ.....٥
البـاب الأول عـن الفراعنـة نحكـي.....٩
البـاب الثانـى عـن مصـاصي الدمـاء نحكـي.....٢٩
البـاب الثالث عـن الفراعنة نحكي (الجـزء الثـاني).....٤٥
البـاب الخامس زائـر منتصـف الليـل.....٦٩
الباب الســادس دنيـا الأسرار.....٧٧
الباب الســابع شـجرة الخريـف.....٩١
الباب الثامن لعنـة أم كابـوس.....١٠٣
البــاب التاســع دعــوة صامتــة.....١١٣
البــاب العــاشر جلســات كهربائيــة.....١١٧
الباب الحـادي عـشر بائـع الأحـلام.....١٢١
البــاب الثــاني عــشر سـهرة مـع الأصدقــاء.....١٣٧
البــاب الثالــث عــشر إنســان فقــد هويتــه.....١٤١
الباب الخامـس عـشر فاتنتـي.....١٦٣
البــاب الســادس عــشر فــزع الهالويــين.....١٦٧
الباب السـابع عشر إنهـا تهـذي.....١٧٩
البـاب الثامـن عـشر نغـمات ليليـة.....١٨٩
البـاب التاسـع عـشر حظـك مـع الكواكـب.....١٩٣
البـاب العـشرون.....٢١١